الباب الثانى

الأحداث فى مسرح الحرب

الفصل الثالث : مجمل سير القتال فى جبهتى سيناء والقناة

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الثالث

مجمل سير القتال فى جبهتى سيناء والقناة

عام - مراحل حرب العدوان الثلاثى - ملخص الأحداث - يوميات العدوان - مناوشات يوم ٢٩ أكتوبر - احتدام القتال يوم ٣٠ أكتوبر - الموقف فى نهاية يوم ٣٠ أكتوبر - الإنذار الذى هدد الضحية - أحداث القتال يوم ٣١ أكتوبر - أحداث القتال يوم ١ نوفمبر - أحداث القتال يوم ٢ نوفمبر - أحداث القتال يوم ٣ نوفمبر - أحداث القتال يوم ٤ نوفمبر - أحداث القتال يوم ٥ نوفمبر - أحداث القتال يوم ٦ نوفمبر - تفسخ محور التواطؤ - التعليق ٠

عام :

إستغرق القتال فى حرب العدوان الثلاثى على مصر فى خريف عام ١٩٥٦ مائتى ساعة ، وتراوحت شدّته بين المناوشات المنخفضة الشدة ، والمعارك المحتدمة ، وأعمال الاقتحام الرأسى وعمليات الغزو البحرى . وبدأت الحرب فى الساعة الخامسة عصر يوم الأثنين ٢٩ أكتوبر ، عندما أسقطت الأركان العامة الإسرائيلية الكتيبة ٨٩٠ مظلات بقيادة المقدم روفائيل إيتان[1] فوق المدخل الشرقى لممر متلا على مسافة ٦٠ كيلو متراً شرق قناة السويس لتخلق المبرر للقوات الأنجلو فرنسية للتدخل فى الحرب الدائرة ، تحت زعم الحرص على حماية هذا المرفق الدولى المهم من أخطار الحرب المشتعلة على مشارفها . وانتهى القتال فى المسرح فى الساعة الثانية بعد منتصف ليلة ٦ / ٧ نوفمبر ١٩٥٦ ، بصدور قرار مجلس الأمن بوقف إطلاق النيران فى المسرح ، ورضوخ كافة الأطراف المتحاربة له ٠

إن أبسط الحروب يصعب متابعة وقائعها وتحديد أمكنتها وأزمنتها بدقة ، وكذلك كان حال حرب العدوان الثلاثى ، التى تميزت باستقلال كل اتجاه تعبوى تقريباً عن الآخرين

بدرجة غير عادية . فمحاور الهجوم الإسرائيلى الأربعة فى سيناء لم يكن يربط بينها إلا أضعف درجات التعاون المشترك ، سواء على المستوى التكتيكى أو التعبوى ، أما الارتباط بينها وبين محور الغزو البحرى الأنجلوفرنسى فلم يكن يحكمه سوى دواعى إخفاء التواطؤ بقدر ما تسمح به الظروف ، ولهذا كان تأخير الضربة الجوية الشاملة الأنجلوفرنسية لحين تخلق إسرائيل ذريعة التدخّل ، ثم يصدر الإنذار الأنجلو فرنسى للطرفين بالابتعاد عن قناة السويس ، وعندما ينتهى الأجل الذى حدده ذلك الإنذار لمصر لتنصاع لشروطه ، تبدأ طائرات الكانبرا البريطانية والطائرات ف - ٨٤ الفرنسية العمل بعد أن ترفض مصر الإنصياع للإنذار الذى حرص محور العدوان على صياغته بقدر كبير من الإجحاف بها ، والتهديد السافر الذى لن تقبله مصر قطعاً [١] .

وهكذا فرض التواطؤ الأنجلو فرنسى قيوداً على توقيتات الحرب ومراحل القتال ، جعلتها تختلف عن التوقيتات والمراحل العادية . كما أنها على خلاف باقى الحروب التى تبدأ بأعنف درجات القتال شدّة ؛ إذ اقتصرت مرحلتها الافتتاحية على بعض المناوشات التى لم يتجاوز هدفها مجرد خلق الذريعة للتدخل الأنجلو فرنسى ، طبقا لحبكة مخطط العدوان ، كما اتفق عليه ليلاً أطرافه الثلاثة فى معاهدة سيفر ، التى وقعوها مساء ٢٤ أكتوبر ١٩٥٦ بضاحية باريس .

فالجيش الإسرائيلى يُصر على القتال تحت سماء يملك السيطرة الجوية عليها بلا منازع ، بينما سلاحه الجوى لم يصل بعد إلى القدرة على تحقيق ذلك بمفرده ، ولن تستطيع الطائرات الأنجلو فرنسية أن تقوم بتلك المهمة نيابة عنه ، إلا بعد توفير المبرر لهذا التدخل العدوانى ، الذى يجب أن يسبقه إصدار إنذار للطرفين المتحاربين بالكف عن القتال على مشارف القناة حتى لايتعرض استمرار الملاحة فيها للخطر ، وذلك للظهور بمظهر الحريص على سلامتها ، الأمين على مصالح الأسرة الدولية فى أن تظل مفتوحة أمام جميع السفن بلا تمييز .

وبناء على ما سبق . . فقد اتفقوا على إسقاط كتيبة المظلات فوق ممر متلا على مشارف القناة ؛ لتكون الذريعة للتدخل الأنجلو فرنسى فى الحرب بقواتهما العسكرية على أن يعقب ذلك صدور الإنذار الأنجلو فرنسى للطرفين المتحاربين على مشارف القناة ، وبعد ٢٤ ساعة من إسقاط تلك الكتيبة ، كما حددت تلك الخطة وقت شن الضربة الجوية الشاملة

الأنجلوفرنسية بعد ١٢ ساعة من صدور الإنذار ، (إلا أنها تأجلت ١٢ ساعة أخرى لتتم ليلاً) ؛ لتكون هى نفسها بمثابة الإشارة الخضراء للقيادة الجنوبية الإسرائيلية للتحول بالقتال من مستوى المناوشات إلى مستوى المعارك المحتدمة ، التى بدأت صباح ١ نوفمبر بالهجوم الرئيسى على الدفاعات المصرية فى ام قطف ورفح على حدود سيناء الشرقية ، بينما تواصل الطائرات الأنجلو فرنسية قصف عمق مصر ، مع التركيز على شاطىء الغزو الذى اعتزمت اجتياحه وشيكاً ، وذلك لتليين مابه من دفاعات وموانع هندسية قبل الهجوم عليها .

ودارت خلال تلك الساعات المائتين خمس معارك برية فى شبه جزيرة سيناء ، وعملية غزو بحرى فى منطقة بور سعيد ، كما تخللتها ايضاً الضربة الجوية الأنجلو فرنسية الشاملة ليلة ٣١ اكتوبر ، والتى حطمت طائرات ومطارات وعناصر الدفاع الجوى المصرى قبل أن ينبلج فجر يوم ١ نوفمبر ، فأحرزت للقوات البرية الإسرائيلية مطلبها للقتال ، وهو أن تتمتع بمزايا التفوق الجوى ، بل والسيادة الجوية المطلقة .

ثم انتهى العدوان الثلاثى على مصر بانسحاب القوات الأنجلو فرنسية من شاطىء الغزو يوم ٢٢ ديسمبر ١٩٥٦ ، الذى أعقبه انسحاب القوات الإسرائيلية من سيناء وقطاع غزة يوم ٦ مارس ١٩٥٧ وقد حفلت الفترة بين وقف إطلاق النيران فى المسرح وبين جلاء أخر جندى من الأعداء عنه بنشاط العمل الفدائى المصرى والفلسطينى لمدة ١٢٠ يوماً ضد قوى العدوان ، مع التركيز بصفة خاصة على شاطىء الغزو البحرى ببورسعيد ، الذى تكبد فيه الأعداء خسائر كبيرة ، دفعتهم إلى الإسراع بالرحيل قبل موعده المحدد .

وانفردت تلك الحرب أيضاً عن سائر الجولات التى سبقتها أو أعقبتها بأنها كانت الوحيدة التى اشتركت فيها قوات مسلحة من خارج منطقة الشرق الأوسط بصورة سافرة ، مما أدى الى تعدد اتجاهات العدوان التى اشتملت أيضاً على كل أوجه المعركة الحديثة للأسلحة المشتركة من تقدّم إلى أرض المعارك ، وهجوم ، ودفاع ، وانسحاب منها ، فضلاً عن الغزو البحرى ، والاقتحام الجوى الرأسى ، والقتال الجوى والبحرى المنفرد ، والعمل الفدائى النشط .

إلا أن ضعف التنسيق بين قيادات العدوان الثلاثى ، واختلاف المرامى التى تسعى حكوماتها إلى تحقيقها ، إلى جانب اختلاف المذاهب العسكرية والتنظيم والتكتيك ، بل ولغة الحوار بين أطراف العدوان أدّت جميعها إلى إثارة بعض الظنون ، ووقوع عدة ارتباكات

خلال سير القتال صبغته بالبطء والتخبط ، كما حدثت عدة مشاحنات وتعارض فى الآراء بين قادة قوات العدوان حتى أوشكت إحداها أن تحل رباط التعاون بينهم ، بينما كانت المواقف السياسية تتطور بسرعة على الساحة المحلية والدولية فى مجلس الأمن والجمعية العموميه للأمم المتحدة بما جعل دينامية المساعى السياسية والدبلوماسية وقراراتها تسبق ديناميه القتال فى المسرح ، فتكشف عن خبيئة التواطؤ للعالم أجمع رغم مابذلته الأطراف الثلاثة من جهد كبير لإخفائه ، فترتب على انكشافه دمغ هذا العدوان باللاأخلاقية ، واجتماع الكلمة على ازدرائه وتجريمه ، مع الإصرار على وقفه وإزالة كل أثاره .

وعلى كثرة ما وقع من تلك المشاحنات طيلة أيام القتال ، فإن العلاقات السياسية والعسكرية بين فرنسا وإسرائيل ظلت متينة ، كما استمر تدفق المعونات الفرنسية إليها ، فإلى جانب الطائرات الميستير الستين التى أهدتها فرنسا لإسرائيل فى شهر أغسطس قبيل العدوان ، فقد وعدتها أيضاً بثلاثة أسراب من المقاتلات بطياريها الفرنسيين لتقوم تلك الطائرات الخمس والأربعين بدعم أعمال قتال القوات البرية الإسرائيلية فى سيناء وتأمين سماء إسرائيل ، بينما يؤمن الأسطول الفرنسى سواحلها ويشترك الطراد جورج ليجوس فى تليين الدفاعات المصرية قرب الساحل فى رفح والعريش بنيران مدافعه الضخمة .

وبذلت فرنسا الوعد لإسرائيل بإمداد المظليين بمثلا بالمدافع المضادة للدبابات والذخائر والمياه والأغذية ، وكذلك بأية وحدات مقاتلة إسرائيلية أخرى تحتاج إلى المساعدة[٣] .

مراحل العدوان الثلاثى على مصر :

لقد دارت الحرب من وجهة نظر الإستراتيجية المصرية ، وطبقاً لتطوراتها السياسية والعسكرية فى أربع مراحل متتالية كالأتى :

المرحلة الأولى

محاولة حصر العدوان الإسرائيلى .

المرحلة الثانية

اكتشاف التواطؤ والعمل على سرعة سحب القوات المصرية من سيناء .

المرحلة الثالثة

تركيز جهد الدفاع فى اتجاه جبهة قناة السويس ؛ استعداداً لمواجهة الغزو الأنجلوفرنسى الوشيك ·

المرحلة الرابعة

الضغوط السياسية والعسكرية على حكومات محور التواطؤ وانسحاب قوات العدوان ·

وقد استغرقت المرحلة الأولى ٥٠ ساعة فيما بين الخامسة عصر يوم ٢٩ أكتوبر ، والسابعة مساء يوم ٣١ أكتوبر ١٩٥٦ ، عندما صدر الإنذار الأنجلو فرنسى لمصر بوقف النيران تحت زعم الرغبة الحميدة فى حماية قناة السويس ، وانحصر القتال خلال تلك المرحلة داخل مسرح سيناء بين القوات الإسرائيلية التى يدعمها مجهود جوى وبحرى فرنسى متفوق ، وبين القوات المصرية ·

وقد بدأ بإسقاط قوة من المظلات فى منطقة تخلو من أى بشر ، وعلى مسافة نحو ٦٠ كيلو متراً من قناة السويس ، ثم زجت إسرائيل بإسم القناة عمداً فى بيان أذاعه المتحدث الرسمى للجيش الإسرائيلى فى الساعة التاسعة ليلاً ؛ للإيهام بوجود حالة صراع مسلح على مشارف قناة السويس تهدد سلامة وإنتظام سير القوافل البحرية فيها ·

وانتهت تلك المرحلة بنجاح القوات المصرية فى حصر العدوان الإسرائيلى ودفع الإحتياطيات التعبوية الى سيناء ، وتأهبها لتوجيه ضربة مضادة لاستعادة الأوضاع فى المسرح ·

واستغرقت المرحلة الثانية ٨٤ ساعة فيما بين الساعة السابعة مساء يوم ٣١ أكتوبر ، والساعة السادسة من فجر يوم الاحد ٤ نوفمبر ١٩٥٦ ، عندما بدأ التمهيد الجوى الأنجلوفرنسى لعملية الغزو البحرى ·

وكانت الساعة السابعة مساء ٣١ أكتوبر هى اللحظة الحاسمة فى سجل حرب العدوان الثلاثى ، عندما انقضت الطائرات الأنجلوفرنسية بغتة على مطارات مصر لتدمر ما بها من طائرات ، فانكشفت للتو حقيقة المؤامرة الثلاثية التى حيكت أطرافها ليلاً بضاحية سيفر ، وما بيته محور العدوان لندن -باريس - تل أبيب من نوايا حقودة ضد مصر وجيشها

وزعامتها لتحطيم ذلك الجيش ، وإسقاط تلك الزعامة التى أعلن أنتونى ايدن أن عليها أن تختفى .

وصدر قرار توحيد الجبهة المصرية غرب قناة السويس فى الساعة العاشرة من مساء نفس اليوم لإنقاذ القوات الموجودة فى مسرح سيناء من الشرك المدبر الذى أعد لها هناك ، بعد أن استدرجها جيش إسرائيل داخل أعماق هذا المسرح ؛ لتنزل قوات الغزو الأنجلوفرنسى فى ظهرها . وتقفل عليها مؤخرة المسرح على امتداد القناة حتى تفقد الزعامة المصرية جيشها فلا يصبح أمامها بعدئذ إلا الرضوخ لرغبات المعتدين وشروطهم المجحفة .

ولتجنّب ذلك صدر قرار سحب قوات مصر من سيناء وتوحيد جبهة القتال غرب القناة ؛ لتحقيق الاتزان الإستراتيجى فى مسرح الحرب والاستعداد لمواجهة الغزو الأنجلوفرنسى المتوقع ، بتركيز حشد الجيش وقوى النضال الشعبى داخل مثلث الدفاع الحيوى بورسعيد - السويس - القاهرة .

وبمجرد صدور هذا القرار ، تحولت الصورة العامة للحرب من مجرد قتال داخل منطقة محدودة إلى صراع مسلح على صعيد مصر كله ، ففقدت خطة العدوان أهم ركائزها وهى القضاء على غالبية القوات المسلحة لمصرية بعد استدراجها بواسطة جيش إسرائيل داخل الشرك ، الذى أعده لها فى أعماق سيناء الشرقية .

واستهلت مصر أعمالها العسكرية فى تلك الفترة بسحب قواتها من سيناء مع ترك عناصر انتحارية لستر عملية الانسحاب السريعة ، وقد صاحب ذلك عملية إخلاء بعض طائرات القوات المصرية من قواعدها الجوية المعرضة إلى قواعد أخرى أقل تعرضاً فى صعيد مصر ، ثم إلى قواعد صديقة خارجها .

وقد تعرضت مصر خلال تلك المرحلة للضرب الجوى المركز من جانب القوات الجوية البريطانية والفرنسية ، شمل معظم أرجاء الجمهورية فى مرحلته الأولى ، قبل التركيز على شاطئ الغزو البحرى ببورسعيد قبيل عملية الإبرار وأثناءها .

ولم يكن ساحل بورسعيد يوفر فى نظر الجنرال هيوستوكويل قائد قوات الغزو البرية المكان الأمثل لتنفيذ العملية موستكير المعدلة النهائية ، فالقوات التى تنزل إلى الساحل لن يكون من السهل انطلاقها من جيب بورسعيد الضيق نحو الجنوب ؛ نظراً لانحصار الطريق

الوحيد بين قناة السويس وبحيرة المنزلة بما لا يترك سوى عشرات الأمتار فقط للتحركات العسكرية الضخمة التى يمكن عرقلتها ، بل وإيقافها تماماً ببعض الكمائن والحفر وحقول الألغام ليصبح ذلك المضيق أرنهايم ثانية . لقد كان ساحل غرب الإسكندرية هو الأمثل ، فهو الذى يوفر الأرض المفتوحة إلى القاهرة . وقد اعتمد الجنرال ستوكويل فى نظرته تلك على سابق خدمته بنفس المنطقة منذ عهد قريب (٤) .

واستغرقت المرحلة الثالثة ٦٨ ساعة فيما بين الساعة السادسة من فجر يوم الأحد ٤ نوفمبر والساعة الثانية من فجر يوم الأربعاء ٧ نوفمبر ١٩٥٦ ، وبدأت بالتمهيد الجوى لعملية الغزو البحرى الأنجلوفرنسى لشاطئ بورسعيد ، ثم تنفيذ الاقتحام الجوى والبحرى لإنشاء رأس شاطىء فيما بين منطقة الجميل غرباً وبورفواد شرقاً ، توطئة للانطلاق منه فى محاولة يائسة نحو الإسماعيلية ، والسويس ثم القاهرة على نحو ما فعل الجنرال وولسلى فى عدوان سبتمبر ١٨٨٢ ، الذى انتهى باحتلال مصر وكبت الثورة العرابية .

وانتهت تلك المرحلة بتأمين رأس الشاطىء فى بورسعيد ، وما أعقبها من صدور قرار وقف إطلاق النار من الجمعية العمومية للأمم المتحدة ، ثم رضوخ حكومات دول العدوان لهذا القرار بعد تسويف ومماطلة هزيلة ، ومن ثم توقف القتال فى المسرح .

أما المرحلة الرابعة والأخيرة فقد استغرقت ١٢٠ يوماً فيما بين ٧ نوفمبر ١٩٥٦ و ٦ مارس ١٩٥٧ ، عندما أتمت القوات الإسرائيلية الانسحاب من شبه جزيرة سيناء وقطاع غزة ، بعد أن كانت القوات الأنجلو فرنسية قد سبقتها بالانسحاب من رأس الشاطئ ببورسعيد يوم ٢٢ ديسمبر ١٩٥٦ وخلال تلك المرحلة حسمت القضية لصالح مصر فيما عدا قبولها وضع قوة طوارئ دولية فى مدخل خليج العقبة عند شرم الشيخ ؛ لتقوم بتأمين حرية الملاحة فى الخليج لجميع السفن بما فيها الإسرائيلية أو تلك التى تحمل بضائع لإسرائيل .

أما أبرز المكاسب التى خرجت بها مصر من هذه الجولة ، فكانت إلغاء معاهدة الصداقة والتحالف بينها وبين بريطانيا بعد أن تحولت من حليف إلى عدو ، وما تبع ذلك من استيلاء مصر على القاعدة البريطانية العسكرية الضخمة بمنطقة قناة السويس ، بكل ما تحويه من أسلحة وعتاد وذخائر بكميات ضخمة كتعويض عن الأضرار التى ترتبت على العدوان ، ثم انفرادها بملكية وحق إدارة قناة السويس بلا منازع أو معترض .

ملخص الاحداث :

كان التوتر الشديد الذى أثاره تأميم شركة قناة السويس قد بدأ يهدأ شيئاً ما ، عندما توالت البلاغات على القيادة الشرقية المصرية فى الساعة السابعة من مساء الاثنين ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ ، والتى جاء أولها من نقطة الحدود قرب الكونتلا عن تحرك نحو ٥٠ لورى معادٍ فى وادى جرافى المواجه للكونتلا ، مع سماع أصوات طائرات كثيرة تعبر سماء المنطقة متجهة غربا ٠

ثم أعقبة مباشرة بلاغ آخر من النقيب وجدى شرف بمنطقة نخل عن تعرض عربتى تموين قواته وهما آتيتان من متلا لنيران مدافع الماكينة عند المدخل الشرقى للمر ٠ أما ثالث البلاغات فجاء من عمال تمهيد الطرق قرب ممر متلا عن اسقاط قوة من المظليين فوق منطقة صدر الحيطان ، كانوا قد شاهدوها رأى العين ٠

وكان هولاء المظليون يشكلون فى حقيقة الأمر الكتيبة ٨٩٠ مظلات قيادة المقدم / روفائيل إتيان من اللواء٢٠٢ المظلى قيادة العقيد أرييل شارون ، التى قفزت بمظلاتها من ١٦ طائرة داكوتا كانت قد أقلعت من مطار عقير فى الساعة الرابعة والنصف عصراً ؛ لتسقطهم فى تمام الخامسة على مشارف قناة السويس ، حتى توفر الذريعة للتدخل الأنجلوفرنسى تحت زعم الرغبة الحميدة فى وقاية القناة من أخطار القتال الدائر قربها ، والذى يهدد بتوقف الملاحة فيها ٠ ومن طريف ما يذكر فى هذا الصدد أن الألوف مشنيه عايزر وايزمان قائد تلك القاعدة الجوية راح يسائل نفسه كلما اقلع رف من تلك الطائرات بالمظليين ، قائلا : "هل يملك هؤلاء الكفاءة القتالية الفعلية لما يقدمون عليه من قتال ؟ " ٠

والواقع أن منطقة صدر الحيطان لم تكن تصلح لإقناع أحد بما ساقه الإعلان الإسرائيلى من مزاعم ، فهى تبعد عن القناة بأكثر من ٦٠ كيلومترا بما لا يجعل للقتال الدائر فيها كل هذا الخطر على الملاحة فيها ، وقد كان الاختيار الأول لرئاسة الأركان العامة قد وقع على المدخل الغربى للمر الذى لا يبعد عن القناة سوى ٣٠ كيلو متراً فقط ، إلا أن طائرة الاستطلاع التى حومت فوقه بالأمس شاهدت عدة خيام منصوبة حوله فعمدت رئاسة الأركان الإسرائيلية إلى تغيير منطقة الإسقاط إلى المدخل الشرقى للممر ، إذ كان الإصرار على أن يتم فى منطقة ليس بها نفس حية ٠ وعندما دفع أحد ضباط الأركان بأن بُعد المنطقة الجديدة

يفقد الذريعة حجيتها ، نصحه موشيه ديان رئيس الأركان بألا يشغل باله بتلك التوافه ، فوقت المعارك تتوه الحقائق[٥] .

وبينما كانت طائرات الداكوتا تسقط المظليين فوق صدر الحيطان ، كانت عشر طائرات طراز ميتيور تقوم بحراستها ، واثنتا عشرة طائرة فرنسية من طراز المستير تراقب منطقة القناة وهى على استعداد لمطاردة أية طائرة مصرية تحاول التدخل فيما يحدث بصدر الحيطان[٦] .

وقد وقع الاختيار على ممر متلا لخلق ذريعة التدخل الأنجلوفرنسى فى الحرب للأسباب التالية :

١ - خلو المنطقة من القوات المصرية بما يؤمن قوة المظليين من خطر الإبادة فتنهار ذريعة العدوان .

٢ - قرب المنطقة من قناة السويس ، وهو الشرط الأساسى لخلق حالة صراع مسلح على مشارفها ، يبرر التدخل الأنجلو فرنسى لحمايتها مما تتعرض له من أخطار .

٣ - طبيعة ارض الممر التى تتميز بالوعورة الشديدة والضيق بما يتيح لقوة صغيرة نسبياً ذات تسليح خفيف ، فرصة التمسك بالارض لمدة طويلة نسبيا لحين وصول القوات البرية اللاحقة ، وهو مالا توفره الاتجاهات التعبوية الأخرى فى سيناء بنفس تلك المزايا .

٤ - عدم صلاحية أرض الممر لاستخدام المدرعات ؛ مما يؤمن قوة المظليين ذات الأسلحة الخفيفة من مخاطر التعرض للدبابات المصرية التى لا تملك دفاعًا وهجومًا حيالها .

٥ - بُعد أقرب قوة مصرية عن منطقة الإبرار بما يجعل احتمال تدخلها السريع فى القتال أمراً بعيد الاحتمال ، خاصة وأن مثل تلك القوات سوف يتعين عليها أن تعبر القناة أولا مما سوف يعرقل وصولها إلى منطقة الإبرار مدة كافية ليستكمل المظليون فيها تجهيز موقعهم الدفاعى على أفضل وجه . وقد عملت بريطانيا وفرنسا على زيادة عدد السفن العابرة للقناة طيلة ليلة ٢٩ / ٣٠ أكتوبر ؛ لتعطيل عبور أى قوات مصرية إلى سيناء .

٦ - خلو الاتجاه التعبوى الجنوبى فيما بين الكونتلا ومتلا من الدفاعات المصرية القوية ، مما يكفل للقوات السبرّية اللاحقة المشكلة من باقى كتائب اللواء ٢٠٢ المظلى سرعة الوصول إلى كتيبته المنعزلة بصدر الحيطان ؛ لتمدها بالدعم القتالى والإدارى الكافى لمواجهة مختلف المواقف المحتملة ، لا سيما وأن روح الزمالة سوف تدفعهم إلى الإسراع بالانضمام إلى كتيبتهم المسقطة فى الأمام .

٧ - البدء بالأعمال التعرضية عند صدر الحيطان سوف يجذب أنظار القيادة العامة المصرية إلى اتجاه مخادع بعيداً عما اعتزمته الأركان العامة الإسرائيلية من شن الهجوم الرئيسى فى وسط وشمال سيناء ، على إمتداد محورى العوجة -الإسماعيلية ، ورفح - القنطرة[٧] .

إجراءات القيادة الشرقية :

تعدّدت الاحتمالات إزاء مقاصد الإبرار الإسرائيلى بمنطقة صدر الحيطان فى نظر القيادة المصرية ، إلا أن عمق الإبرار الكبير وما سبقه من نشاط كثيف للقوات الإسرائيلية قرب الحدود الشرقية فى مواجهة رفح وأبوعويقيلية والكونتلا دفع القيادة الشرقية إلى ترجيح عزم إسرائيل على شن عملية هجومية رئيسية ضد سيناء .

ولما لم تكن القوات المتمركزة بها تكفى لمواجهة مثل هذا الهجوم ، فقد بادرت القيادة الشرقية إلى اتخاذ قرار قفل المدخل الغربى لممر متلا ؛ توطئةً للزحف خلاله بقوة كبيرة وتكليفها بالقضاء على قوة المظلات المتمركزة شرقه فى تعاون وثيق مع الأورطة الثانية استطلاع ، التى كلّفتها بأن تلتف خلفها عبر وادى المليز لتشكل الطرف الشرقى من حركة الكماشة ، بينما تشكل مجموعة اللواء الثانى المشاه طرفها الغربى ، وبذلك يتم الإطباق على المظليين من الجانبين بما يضمن تدميرهم [٨] .

وبتوالى وصول المعلومات من نقطة المراقبة والإنذار المصرية قرب حدود مصر الشرقية عن تحرك أرتال العدو المدرعة والميكانيكية قرب تلك الحدود ، عزمت القيادة الشرقية على دعم قوات الدفاع عن سيناء بحشد احتياطياتها التعبوية المشكلة من قيادة الفرقة الرابعة المدرعة ، والمجموعة الثانية المدرعة ، واللوائين ٣٠ و ٤٢٦ من جيش التحرير الوطنى ، وكذا الألاى الثانى استطلاع عدا الأورطة التى دفعت عبر وادى المليز إلى صدر الحيطان ، لتحتل جميعها خط الدفاع الثانى عن سيناء حول منطقة بير روض سالم .

وسعيا الى توفير احتياطى تكتيكى مناسب للفرقة الثالثة المشاة القائمة بالدفاع عن المثلث أبوعويقيلية -رفح -العريش كل بلواء مشاة عدا كتيبة ، فقد قررت القيادة الشرقية دفع مجموعة لواء مشاة إلى العريش لتخلى اللواء الرابع المشاة المتمركز فيها للعمل كاحتياطى لتلك الفرقة .

كما خصصت القيادة الشرقية المجهود الجوى المناسب لمساندة تلك الأعمال البرية ، واطمأنت الى أنه بمجرد إتمام تلك التحركات سالفة الذكر سوف يتحقق التوازن التعبوى فى جبهة سيناء بالقدر المنشود ، كما تتهيأ الظروف المناسبة فى الوقت نفسه للتحول للهجوم المضاد العام ، عندما يحين وقته لتدمير العدو الذى اخترق الحدود .

إجراءات القيادة العامة المصرية

ترتب على تصديق القيادة العامة على قرارات القيادة الشرقية سالفة الذكر ، أن عمدت القيادة العامة بدورها إلى دفع جزء من احتياطياتها الاستراتيجية من منطقة القاهرة الى منطقة قناة السويس حفظا للاتزان الأستراتيجى بمسرح الحرب ،واستعداداً لما قد تكشف عنه الأيام المقبلة من أحداث .

كما دفعت وحدات منتخبة من جيش التحرير الوطنى إلى سيناء ، وخصصت المجهود الجوى المناسب لدعم وحدات القيادة الشرقية ،وقصف الاهداف الحيوية داخل إسرائيل ، خاصة مطاراتها الحربية وأماكن تمركز قواتها البرية قرب الحدود ، ثم كلفت الأسطول المصرى بقصف قاعدة حيفا البحرية بمدفعية المدمرات ، كما أمرت الكتيبة ٧٥ مظلات بالاستعداد لقطع موخرة العدو إذا ما تقدم على الاتجاه التعبوى الجنوبى ليلحق بكتيبة المظليين التى اسقطها عند صدر الحيطان ،مع القيام بإغارة فدائية محدودة ضد هدف عسكرى منتخب فى منطقة بير السبع[٩] .

التنسيق مع القيادة العربية المشتركة

ثم استكملت القيادة العامة المصرية آخر الإجراءات بتنسيق خططها مع القيادة العربية المشتركة لحشد قوة سناسبة من المدرعات والمشاه فى منطقة متاخمة لحدود إسرائيل على جبهة الأردن صباح ٣١ أكتوبر لشن هجوم يفصل شمال إسرائيل عن جنوبها ، مع دفع مجموعات فدائيين للعمل على شل وإرباك التحركات الإمرائيلية على الطرق ، بينما تقوم القوات الجوية

السورية بقصف مطارات شمال إسرائيل . وقد أعلنت كل من الأردن وسوريا التعبئة العامه فور إبلاغهما بتلك القرارات .

يوميات العدوان

مناوشات يوم الاثنين ٢٩ أكتوبر

تحول الشك فى مقاصد إسرائيل من إبرار كتيبة المظلات فى صدر الحيطان إلى يقين ، عندما أعلنت الإذاعة الإسرائيلية على لسان المتحدث الرسمى لجيش الدفاع الإسرائيلى فى الساعة التاسعة مساء عن هذه الإغارة العميقة ، ثم زج باسم قناة السويس فى بلاغه ليخلق الذريعة للتدخل الأنجلوفرنسى للحفاظ على سلامة واستمرار الملاحة الدولية فيها [١٠] .

وفى الساعة الحادية عشر مساء نفس اليوم ، بدأت مجموعة اللواء الثانى المشاه المصرية المشكلة من كتيبتى مشاه فقط فى عبور قناة السويس ، والاتجاه إلى ممر متلا فى نفس الوقت الذى عبرت فيه مقدمة اللواء ٢٠٢ المظلية الحدود المصرية عند الكونتلا ، وبدأت الزحف نحو التمد قرب منتصف الليل .

أما الاحتياطيات التعبوية للقيادة الشرقية فى منطقة قناة السويس والمشكلة من المجموعة الأولى المدرعة والألاى الثانى استطلاع عدا أورطة ، ومجموعة اللواء الثالث المشاه فكانت تتأهب للتحرك عبر قناة السويس نحو سيناء ·كما بدأ اللواء ٩٩ المشاه الاحتياطى فى التحرك من منطقة تمركزه فى الغرقدة غربا صوب بير روض سالم ؛ ليحتل خط الدفاع الثانى على الطريق الأوسط ، ولينشئ مع مجموعة اللواء الثالث المشاه القاعدة الوطيدة التى توفر للقوة المدرعة الضاربة فرصة العمل منها ضد القوات الإسرائيلية المهاجمة ·

وكان من المظاهر الملفتة للنظر كثافة تحركات السفن عبر القناة طيلة هذه الليلة ، بما عرقل عبور القوات نحو سيناء ، نزولاً على أوامر القيادة العامة التى أكدت على أن تكون الأفضلية للسفن وليس للقوات المندفعة نحو سيناء

احتدام القتال يوم الثلاثاء ٣٠ أكتوبر

موقف القوات الإسرائيلية على الاتجاه التعبوى الجنوبى :

اصطدمت مجموعة اللواء ٢٠٢ المظلات بموقع التمد التعطيلى الذى تحتله عناصر من الألاى الثانى سيارات حدود ، والتى كانت قد أمرت بإخلاء مواقعها لعدم تكافؤ تسليحها مع تسليح العدو ، ثم أمرت باعادة احتلال تلك المواقع مرة ثانية قبيل هجوم العدو عليها بدقائق قليلة .

ودارت معركة غير متكافئة بين الطرفين بدأت حوالى الساعة الرابعة والنصف فجرًا ، وانتهت الساعة السابعة والنصف صباحًا عندما استشهد معظم افراد الموقع التعطيلى . إلا أن مجموعة لواء المظلات لم تستأنف تقدمها غربا حتى العصر ؛ نظرًا لتعرضها لغارات جوية ، فلم تصل إلى نخل إلا مع آخر ضوء ، ثم واصلت تقدمها الحثيث لتتصل بكتيبتها المسقطة بالامس فى صدر الحيطان حوالى الساعة الحادية عشرة والنصف ، قبل منتصف الليل متأخرة بذلك نحو ست ساعات عن الوقت المحدد لها فى أمر العمليات [١١] .

على الاتجاه التعبوى الأوسط

بدأت مجموعة اللواء الرابع المشاة الإسرائيلية هجومها على نطاق الأمن بالقصيمة الذى تحتله أورطة استطلاع خفيفة ، وذلك قبيل فجر يوم ٣٠ أكتوبر . ومع الصباح اضطرت القيادة الجنوبية الى دفع مجموعة قتال مدرعة من اللواء السابع المدرع صوب القصيمة ، بعد أن تعثرت مجموعة اللواء الرابع المشاه ، وفشلت فى اقتحامها (١٢) .

واستمر القتال محتدما هناك حتى الظهر بينما طلائع القوات الاسرئيلية تلتف على الجانب الجنوبى لدفاعات أم قطف ، ولما فشلت فى اقتحامها من الحركة راحت تبحث عن منافذ أخرى للوصول الى قلب هذه الدفاعات من الجنب أو المؤخرة .

ثم بدأت القيادة الجنوبية محاولاتها بعد الظهر لتأمين المناورة العرضية بقواتها بين الاتجاهين التعبويين الجنوبى والأوسط ، فأمرت مجموعة اللواء الرابع المشاه بدفع عناصر منها الى نخل ، بينما دفعت بعناصر أخرى من اللواء السابع المدرع الى الحسنة .

على الاتجاه التعبوى الشمالى

تدفقت أرتال القوات الاسرئيلية نحو مناطق تجمعها الأمامية فى المستعمرات الإسرائيلية المجاورة لخط الهدنة والحدود الدولية ؛ حيث شكلت هدفا مناسبا للقصف الجوى أو لنيران المدفعية البرية إلا أنه لم يستغل على أى وجه .

واقتصرت أنشطة الطائرات الإسرئيلية منذ الصباح على تقديم المعاونة الجوية المباشرة فوق الاتجاه التعبوى الجنوبى ، مع التركيز على المدخل الشرقى لممر متلا حيث كانت الكتيبة ٨٩٠ مظلات تتعرض لمناوشات كثيفة ،بينما راحت الطائرات الفرنسية تراقب منطقة القناة من السماء ، وتهاجم المطارات المصرية القريبة منها[١٣] .

الموقف فى نهاية يوم ٣٠ اكتوبر

على الاتجاه التعبوى الجنوبى (انظر الخريطة رقم ٢)

صادف تقدم اللواء ٢٠٢ المظلات من الكونتلا صوب صدر الحيطان عدة مشكلات ، ناجمة عن سوء التحضير للتحرك، ونقص معدات نجدة العربات المعطلة ،ومقابلة بعض المواقع الدفاعية التى أبدت شيئا من المقاومة ، ووعورة الطريق خاصة بين التمد ونخل[١٤] .

وقد ترتب على هذا التأخير فى الوصول الى الكتيبة ٨٩٠ بصدر الحيطان ، أن ظلت تعانى من تعرض أجنابها ومؤخرتها للتهديد نظرا لوجودها فى أرض مكشوفة على المدخل الشرقى لممر متلا الذى نجحت مقدمة اللواء ٢ المشاه فى قفله فى وجهها . وقد أضاع الألاى الثانى استطلاع فرصة القضاء على تلك الكتيبة المنعزلة بتأخره فى الوصول إليها حيث عمد قائده إلى التوقف والمبيت ليلة ٢٩/ ٣٠ أكتوبر فى مكان لا يبعد عن موقع تلك الكتيبة سوى مسيرة ساعتين فقط ، كما أقفل جهاز اللاسلكى ١٠٠ وات المتصل بالقيادة الشرقية دون سبب .

على الاتجاه التعبوى الأوسط

ارتدت الأورطة الثانية الخفيفة من الحدود شرق القصيمة بقتال تعطيلى حتى مضيق أم مطامر جنوب شرق أم قطف .وقد أبدى العقيد جوزيف هاربز قائد مجموعة اللواء ٤ المشاة الإسرائيلى بعض التردد فى مهاجمة موقع القصيمة الدفاعى ، كما ظهر ضعف سيطرته على

قواته بما أدى الى فقدها الاتجاة وانتشارها على مساحة واسعة فأصدر رئيس الاركان العامة أمرا بعزلة من قيادة هذا اللواء .

ولم تكن مجموعة اللواء ١٠ المشاة بأفضل حظا فى هجومها الأول على أم قطف ، إذ قابلتها دفاعات اللواء ٦ المشاة بنيران كثيفة أجبرتها على التوقف والارتداد للخلف . ولأن العقيد يهودا والاش كان قد تعجل هذا الهجوم قبل الموعد المحدد لة فقد تعرض للتكدير والتأنيب الشديد من رئيس الأركان العامة الذى أغلظ له القول بضرورة الانصياع الكامل لأحكام وتوقيتات الخطط الموضوعة .

ومرة أخرى تشكل الحشود الإسرئيلية الكثيفة على الاتجاه التعبوى الأوسط هدفا مغريا للطائرات المصرية ، وهى معرضة فى الأرض المكشوفة إلا أنها لم تتعرض لأى قصف جوى فى هذا اليوم .

على الاتجاه التعبوى الشمالى

فتحت مدفعية مجموعة اللواء الخامس المشاه المصرى نيرانها على مناطق التجمع الأمامية لمجموعة العمليات ٧٧ قيادة العقيد حاييم لاسكوف ، وعلى المستعمرات الإسرائيلية القريبة من خط الهدنة والحدود الدولية ٠ولم تظهر قوات مجموعة العمليات نشاطا قتاليا على هذا الاتجاه طيلة يوم ٣٠ أكتوبر نزولاً على أحكام الخطة العامة ٠

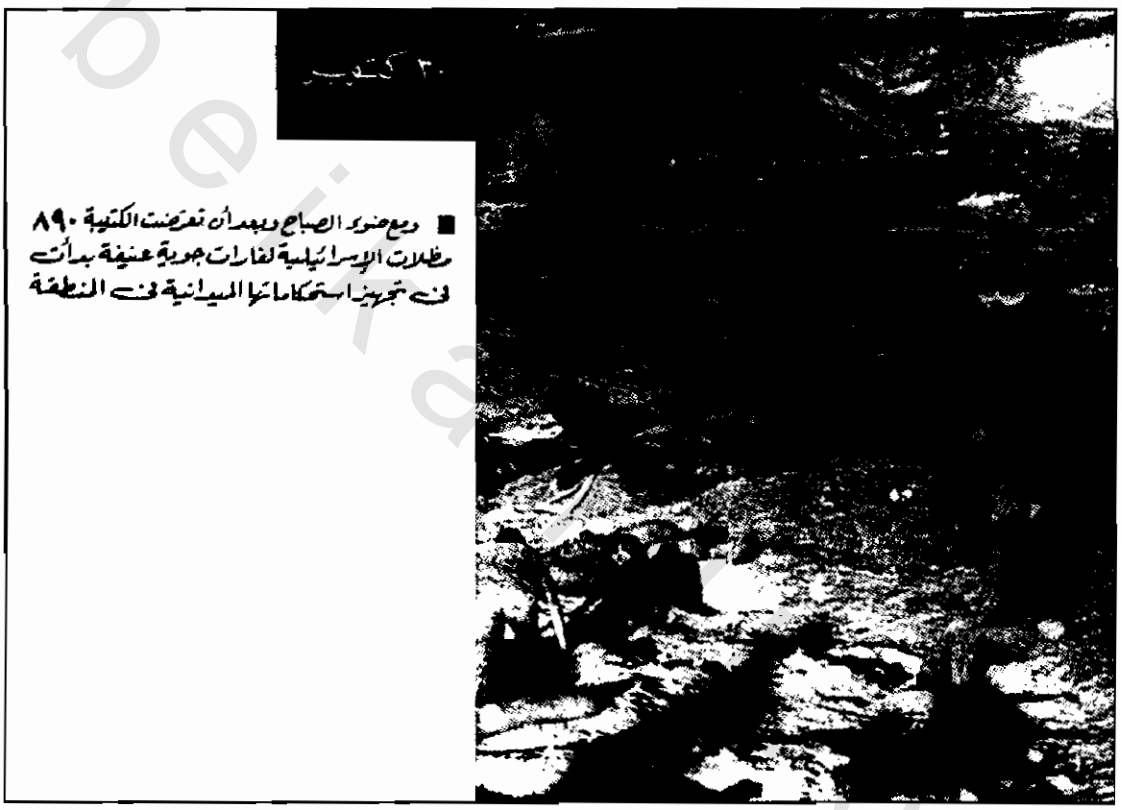

وتجدر ملاحظة أن توقيتات الأعمال التعرضية الإسرائيلية حتى الآن تتابعت بفاصل ٢٤ ساعة بين مناوشات الكتيبة ٨٩٠ مظلات فى متلا ، وسناورات المجموعة ٣٨ عمليات أمام أم قطف وعلى جانبها الجنوبى ، بينما ستبدأ مجموعة العمليات ٧٧ هجومها بعد ذلك بنحو ٢٤ ساعة أيضا ضد رفح ٠وتكشف تلك التوقيتات وأعمال القتال أن القيادة الجنوبية الإسرائيلية حرصت على ان تطوى دفاعات سيناء الأمامية فى حركة مروحية من الجنوب

للشمال صوب البحر المتوسط ؛ نظراً لتركيز الدفاعات المصرية قواها فى القسم الشمالى فيما بين أم قطف ورفح ، مع ترك القسم الجنوبى فارغا تقريبا ·

وقد سهّلت تلك الأوضاع الدفاعية على القيادة الجنوبية مهمة تطويقها من الأجناب والمؤخرة ، مثلما فعلته مرة أخرى فى جولة صيف ١٩٦٧ ، التى طوتها بحركة مروحية من الشمال للجنوب ؛ نظراً لتركيز الدفاعات المصرية فى القسم الجنوبى من سيناء فى هذه الجولة ·

الاحتياطيات المصرية :

كانت الاحتياطيات التعبوية للقيادة الشرقية قد وصلت إلى منطقة تجمعها بالجفجافة على الطريق الأوسط ، تمهيداً للحشد فى الأمام حول بير روض سالم ، وفى أعقابها الاحتياطيات الإستراتيجية للقيادة العامة المصرية بعد وضعها تحت قيادة المنطقة الشرقية · وبهذا تأهبت تلك القوات لحصار العدوان الإسرائيلى ، وتثبيته فى مساء يوم ٣٠ أكتوبر عندما وقع حدث خطير فجأة هو صدور الإنذار الأنجلوفرنسى ·

المعارك البحرية

أمرت قيادة القوات البحرية المقدم حسن رشدى طمازين ، قائد الفرقاطة إبراهيم الأول بقصف ميناء حيفا بمدافعها عيار ٤,٥ بوصة حيث توجد مستودعات البترول الرئيسية الإسرائيلية وسفن الأسطول ، إلا أن المدمرة كيرسانت الفرنسية اعترضتها فى طريق العودة وتمكنت من أسرها صباح ٣١ أكتوبر ، وقامت بسحبها داخل ميناء حيفا حيث زعمت الدعاية الإسرائيلية أنها مدمرة روسية من طراز سكورى الحديث ، بينما كانت فى حقيقتها فرقاطة بريطانية قديمة[١٦] .

المدمرة إبراهيم الأول بعد سحبها داخل ميناء حيفا

الإنذار الذى هدد الضحية :

فوجئ العالم فى الساعة السابعة من مساء يوم ٣٠ أكتوبر ، ببلاغ مشترك تصدره حكومتا المملكة المتحدة وفرنسا تطالب فيه كل من مصر وإسرائيل بالإنسحاب بعيدا عن قناة السويس بعشرة كيلومترات ؛ لتقوم قواتهما باحتلال ضفتيها صيانة للملاحة البحرية فيها من التوقف بسبب القتال الدائر عن كثب منهما . وقد حدد نفس البلاغ الساعة السادسة من فجر اليوم التالى موعداً لبدء التدخل الأنجلوفرنسى ، سواء رضخت مصر له أم رفضته[١٧] .

وكانت مطالبة الإنذار كلا الطرفين المتحاربين أن ينسحبا بعيدا عن ضفتى القناة لمسافة عشرة كيلومترات ، تعنى أن تتقدم قوات إسرائيل من موقعها بصدر الحيطان نحو خمسين كيلو متراً أخرى صوب القناة ، بينما تنسحب القوات المصرية سبعين كيلوا متراً لتصبح خلف ضفتها الغربية بعشرة كيلومترات ، وفى هذا دليل قاطع على التواطؤ الأنجلوفرنسى لصالح إسرائيل المعتدية ، وتهديد سافر لمصر المعتدى عليها .

ومن الطبيعى أن ترحب إسرائيل بالإنذار ، بينما ترفضه مصر التى أصدرت بلاغا رسميا تؤكد فيه سيطرتها على الموقف الناشىء عن عدوان إسرائيل ، مع عزمها على حماية القناة من أية أخطار حتى تواصل السفن عبورها بأمن وسلامة .

أحداث القتال يوم الاربعاء ٣١ أكتوبر

بين التسويف والمراوغة والشك العظيم :

عكفت القيادة العامة المصرية عند الظهر على إحكام خطتها للتمسك بعقد مواصلات سيناء ، مع تأمين الجانب الأيمن للاتجاه التعبوى الأوسط ؛ توطئة لشن الهجوم المضاد العام على امتداده لطرد قوات إسرائيل من القصيمة وأم قطف ، واستمرار قفل مدخل متلا من الشرق فى وجه كتيبة المظليين الى أن تتم مجموعة اللواء ٢ المشاة ، والأورطة الثانية استطلاع قفل طرفى الكماشة حولها وإبادتها .

وعلى الجانب المقابل ، فوجئت رئاسة الوزارة ورئاسة الأركان الإسرائيلية بعدم تنفيذ المملكة المتحدة وفرنسا الضربة الجوية المتفق على شنها صباح ٣١ أكتوبر ، بمجرد انتهاء موعد الإنذار الأنجلو فرنسى . ومع أن دوافع هذا التأجيل كانت عسكرية محضة ؛ إذ استصوب مارشال الجو دنيس بارنيت قائد القوات الجوية أن يطلق طائراته تحت ستر الظلام ، الذى

لاتملك مصر حياله طائرات للقتال الليلى ، إلا أن الشك المترسب فى وجدان دافيد بن جوريون من البريطانين منذ أيام الانتداب على فلسطين ، تحول إلى جزع أن يكون أنتونى إيدن رئيس وزراء المملكة المتحدة قد نقض عهود سيفر وتراجع عن تنفيذ الضربة الجوية ، ولهذا قرر وقف الهجوم الإسرائيلى ، وسحب القوات داخل إسرائيل على الفور[١٨] .

قررت القيادة العامة طرد العدو من القصيمة

ولما كان هذا القرار يتعارض مع أطماع موشيه ديان رئيس الأركان العامة ، ويحرمه المجد الذى يتطلع عليه ، بعد أن يحقق النصر الذى كان مضمونا بفضل التواطؤ الذى جعل دور إسرائيل مثل من يصعد التل على دراجة وهو ممسك بمؤخرة العربة التى تصعد أمامه[١٩]، إلى جانب أنه لم يكن قد أحاط الحكومة علما بمدى تورط قواته فى مثلا والقصيمة وأم قطف ، خروجا على خطة قادش التى اعتمدتها فقد لجأ إلى التسويف والمراوغة لكسب الوقت ، أملا فى أن تكون المشكلة مجرد تأجيل لموعد الضربة الجوية الأنجلوفرنسية وليس إلغاءها كلية ، ولثقته فى أن الحليف الفرنسى به الكفاية لتحقيق النصر المشترك معه إذا ما تقاعس إيدن عن القيام بدوره .

وبعد أن تفاعلت كافة تلك العوامل فى ذهن موشيه ديان ، خرج بالحل الوسط ، فأمر بوقف القتال النشط فى سيناء وقصره على تأمين عقد المواصلات حول جبل لبنى - الحسنة - نخل بوصفها مفتاح سيناء ، وذلك حتى ينجلى الموقف الأنجلوفرنسى ، فإما أن يعاود الهجوم إذا ما صدقت نياتهما فى الاشتراك فى القتال ، وإما أن ينهى العملية إذا ماثبت غدرهما بإسرائيل .

إلا أن العقيد يهودا والاش قائد مجموعة العمليات ٣٨ كان فى وادى آخر ؛ إذ دفع اللواء ٧ المدرع عبر مضيق الضيقة خلف دفاعات أم قطف ، كما أعد مجموعتا اللوائين ٤ و١٠ المشاة و٣٧ الميكانيكى لتوجيه ضربة رئيسة من عدة اتجاهات لاجتياح الدفاعات ومواجهة رئاسة الأركان بالنصر كأمر راهن ، يخفف من خروجه على تعليمات رئاسة الأركان عمدا .

وخرج الأمر من يده بفشل مجموعة اللواء ٧ المدرع فى اجتياح دفاعات أم قطف من الخلف ، بل وتورطها فى مصيدة هناك بين صمود تلك الدفاعات ، وخطر قوات الضربة الرئيسية المقتربة على الاتجاه التعبوى الأوسط لحسم القتال فى أم قطف .

وتحرج الموقف قبيل العصر عندما فشل العميد عساف سمحونى ، قائد المنطقة الجنوبية فى إعادة تماسك جبهته ، وتعذر سحب اللواء ٧ المدرع من أورطتة مما اضطره إلى أن يأمره بالتحول للدفاع فى مكانه لحين طلب النجدة من رئاسة الأركان العامة .

وبينما الحال على تلك الصورة القائمة المليئة بالحرج والارتباك ، إذا بالعقيد أرييل شارون قائد مجموعة اللواء ٢٠٢ المظلات يدفع بقواته جزءًا وراء الآخر داخل ممر متلا . وبمجرد أن اجتازت المقدمة المدخل الشرقى فتحت عليها مجموعة اللواء ٢ المشاة المصرية نيران الجحيم من كل جانب فاستحال على شارون مواصلة التقدم أو الانسحاب . واستمر القتال محتدمًا لأكثر من سبع ساعات فلم يهدأ إلا بعد أن أرخى الليل سدوله بعدة ساعات [٢٠] .

الموقف العام بسيناء عصر ٣١ أكتوبر (انظر الخريطة رقم ٣)

ما زالت مجموعة اللواء ٦ المشاه تتشبث بدفاعاتها فى أم قطف وتحبط هجمات مجموعة اللواء ١٠ المشاة و ٣٧ الميكانيكى المتكررة من الجنوب والخلف ، وهجمات مجموعة اللواء ٧ المدرع واللواء ٤ المشاة من الأمام [٢١] .

وبالمثل تكرر صد وإحباط مجموعة اللواء ٢٠٢ المظلات على مدخل ممر متلا الشرقى ، ونجحت مجموعة اللواء ٢ المشاه فى قفلة بينما كان اللواء ٩ الميكانيكى قيادة العقيد أبراهام يوفية يتحرك من بير هاركيمر فى اتجاه الكونتلا ليؤمن ظهر مجموعة اللواء ٢٠٢ المظلات ، ثم يتأهب بعدئذ لمواصلة الاندفاع جنوبا بحذاء ساحل خليج العقبة ؛ للاستيلاء على منطقة شرم الشيخ كختام لمراحل خطة قادش المعدلة [٢٢] .

أما مجموعة اللواء ٥ المشاة المتمركزة فى رفح ، فلم تبذل المجموعة ٧٧ عمليات قيادة العميد حاييم لاسكوف أية نشاط قتالى أمامها طيلة يوم ٣١ أكتوبر ، بعد أن اتمت الحشد حول مستعمرات الحدود .

وقبل أن تغرب الشمس كانت القيادة العامة المصرية قد سيطرت على الموقف فى سيناء، واستعدت لشن الضربة المضادة الرئسية بالاحتياطيات التعبوية والاستراتيجية ، التى كانت تدخل وقتئذ مناطق التجمع الأمامية فى شرق سيناء وتتأهب لبدئها مع أول ضوء الغد .

وبهذا لم تتجاوز الأعمال العدائية الإسرائيلية طيلة الساعات السبع والاربعين الماضية من لحظة إسقاط المظلات بمتلا مجرد خلق الذريعة للعدوان الأنجلوفرنسى ، الى جانب تورّط مجموعة العمليات ٣٨ فى قتال خاسر فى منطقة أم قطف والقصيمة (انظر الخريطة رقم ٤)

مظاهر تبعث على الارتياب

لم تكن إدارة القتال فى سيناء هى كل ما يشغل بال القيادة الشرقية بالإسماعيلية ، ولا القيادة العامة بالقاهره ، فقد شعرتا مع أول ضوء ٣٠ أكتوبر أن أمورا غير عاديه تجرى فى المسرح ، وعن كثب منه فى البحرين المتوسط والأحمر تبعث على القلق والحذر الشديد ، إلى جانب النشاط المحموم الذى تبذله حكومتا المملكة المتحدة وفرنسا داخل أروقة مجلس الأمن ، وفى كل من جزيرتى مالطه وقبرص ، حيث راح قنصل مصر صلاح قانصوه يرسل المعلومات المتتالية عما احتشد فى الجزيرة من قوات برية وطائرات وسفن من أشكال وأحجام مختلفة ، تبعث على الارتياب فيما تقصده من أعمال فى المستقبل القريب [٢٣] .

وكان من أبرز المظاهر الداعية إلى ذلك الارتياب ما يلى :

١ - إن النشاط الجوى المعادى فوق سيناء ومنطقة القناة خلال يومى ٣٠ و ٣١

أكتوبر يزيد على قدرة إسرائيل منفردة ، فالمرجح أن هناك قواتًا من خارج المسرح تتعاون معها .

٢ - إن الأسطولين : البريطانى والفرنسى اتخذا أوضاعًا على مشارف مياه مصر الإقليمية تكشف عن حالة حصار بحرى .

٣ - إن المدمرة الفرنسية كيرسانت اعترضت فجر ٣١ أكتوبر الفرقاطة إبراهيم الأول فى عرض البحر ، واطلقت عليها نيرانها دون اى استفزاز من جانب تلك الفرقاطة .

٤ - إن التحركات الأنجلوفرنسية على امتداد حوض البحر المتوسط زادت بدرجة ملفتة للنظر.

٥ - إن المناورات السياسية الأنجلوفرنسية داخل مجلسيهما التشريعيين ، تفصح عن محاولات تقنين لعدوان تعتزم الحكومتان القيام به قريبًا .

٦ - إن محاولات المملكة المتحدة وفرنسا عرقلة أعمال مجلس الأمن بالنسبة للنظر فى أمر العدوان الإسرائيلى على مصر ،واستخدامهما حق الفيتو مرتين متتاليتين لشل قرار إيقاف العدوان الإسرائيلى يبين مدى الانحياز التام لجانب إسرائيل .

٧ - إن الدعايات المضادة التى يطلقها صوت بريطانيا ضد مصر من قبرص بلغت درجة شديدة من الحدة لتأليب العالم عليها .

٨ - إن الإنذار الأنجلوفرنسى يطالب مصر بالانسحاب غرب القناة ، ويهدد بضربها واحتلال اراضيها إذا لم تنصاع له ، بينما يسمح لإسرائيل أن تواصل التقدم ؛ فتحتل مزيداً من أرض مصر على مشارف القناة التى تزعم الحكومتان حرصهما على سلامتها وتطالب بابتعاد الطرفين المتحاربين عن ضفتيها .

وظلت تلك الشكوك والريب تتراكم أمام الزعامة المصرية حتى الساعة الرابعه عصراً ؛ عندما تحوّل الشك الى يقين فوجدت أنه لم يعد من الصواب استمرار دفع القوات داخل اعماق سيناء حتى لايحدث فراغا إستراتيجيا على الاتجاه المحتمل للغزو البحرى الأنجلوفرنسى ، والذى يؤدى مباشرة الى القاهرة . (انظر الخريطة رقم ٥) .

ولم تكن مصر تملك وقتها مايكفى من القوات لاستمرار إدارة الأعمال التعرضية فى سيناء ، والدفاع عن قناة السويس ضد غزو بحرى قد يقع عليها . وبعد تقدير الموقف ، قررت القيادة السياسية وقف كافة التحركات الأمامية فى سيناء ، وعودة القوات إلى الضفة الغربية للقناة ، قبل أن يقطع الغزو البحرى الأنجلوفرنسى خط الرجعة عليها ، وحتى تشارك فى تعزيز الدفاعات هناك .

الكانبره تكشف أبعاد المؤامرة

انطلقت صفارات الإنذار فجأة لتعلن عن غارة جوية ، بينما كان الرئيس عبد الناصر مجتمعًا فى الساعة السابعة مساء٣١ أكتوبر بسفير إندونسيا . وبمجرد أن سمع صوت الطائرات تمر فوق منزله صعد الى السطح ؛ حيث تأكد أنها ليست إسرائيلية ؛ لأن إسرائيل لاتملك قاذفات نفاثة . وبينما شاهد أنوار القاهرة وهى تنطفىء وقذائف المدفعية المضادة للطائرات تنطلق بكثافات عالية ، توجه الرئيس إلى مقر القيادة العامة للقوات المسلحة ، الذى بلغه فى الساعة الثامنة مساء ، وقد انكشفت له أبعاد مؤامرة التواطؤ بجلاء ، بعد أن قصفت الكانبرة البريطانية والمستير الفرنسية قواعد ومطارات مصر فى مستهل فترة التمهيد الجوى للغزو البحرى [٢٤] .

قرار ايقاف الأعمال الهجومية والتحركات إلى سيناء

وكانت الخبرة التاريخية التى أكدت للقيادة السياسية العسكرية المصرية العداء الدائم لإسرائيل من أهم العوامل التى ساعدت على سرعة وضوح الرؤية حول ارتباط قوى العدوان الإسرائيلى والإنجليزى والفرنسى وطمعه بأنها تخوض معركة واحدة ضد الاستعمار .

القرار :

- يوقف جميع الأعمال الهجومية والتحركات للأمام فى سيناء .
- ابعاد الاجزاء لتبعد الاستاطير الاسرائيلى عن سيناء الى غرب قناة السويس .
- يتحرك الاستاطير المشرع للقيادة الشرقية من سكنة الحمة الى سكنة القصاصين بوظيفة لتحمية غرب القناة .
- تستعد القوات الأخرى بسيناء للانسحاب غرب القناة بمجرد صدور قرار بذلك وتسحب الكتيبتان المتحركة أمامى لتأمين القوات من الشمال وتسحبها وأمامى امامة التسحب .
- تخطر القيادة المشتركة لاعداد التشكيلات العسكرية من سوريا والأردن هذه المراحل مع الاستعداد للعمل طبقا لتطور الموقف .

١٩٥٦/١٠/٣١

قوات أركان الحرب
قائد عام القوات المسلحة
كمال عبد الحكيم على عامر

وفى نفس الوقت كانت سفن الغزو تغادر موانىء جبل طارق ومالطة وقبرص فى طريقها الى بور سعيد ، حيث إعتزم قائدها العام الفريق أول تشارلزكيتلى احتلال رأس شاطىء بورسعيد لتنطلق منه القوات صوب الإسماعيلية والسويس فى المرحلة الاولى ، ثم إلى القاهرة بعد ذلك لإسقاط نظام الحكم فيها ، وليس كما فعل سلفة الجنرال وولسلى لتثبيت نظام حكم الخديوى توفيق ، والقضاء على الثورة العرابية الوطنية [٢٥] .

وكأنما أعطت قنابل الطائرات الأنجلوفرنسية إشارة البدء لقوات إسرائيل لتستأنف اعمالها العدوانية فى سيناء، اذ اندفعت للتو مجموعة اللواء ٧ المدرع قياده العقيد أورى بن أرى لتشن هجومًا مركزًا ضد مؤخرة دفاعات أم قطف . ثم تلتها مجموعة العمليات ٧٧ بهجوم ليلى صامت على دفاعات مجموعة اللواء ٥ المشاه فى رفح . كما قامت كل من رئاسة الأركان العامة وقيادة المنطقة الجنوبية أيضًا بتعزيز تلك الهجمات بقوات جديدة ، دفعتها للقتال لرفع معدلات الهجوم الذى لم يكن يصادف حتى تلك اللحظة سوى الفشل وصمود الدفاعات فى وجهه فى كل مكان . وبعد أن وضعت قيادة المنطقة الجنوبية مجموعة اللواء ٣٧ الميكانيكى قياده العقيد شمويل جولندا فى الاحتياطى القريب ، دفعت مجموعة اللواء ٩ المشاه الميكانيكى قيادة العقيد إبراهام بوفيه ؛ لتعبر الحدود عند الكونتلا متجهة الى رأس النقب ،

ثم لتواصل التقـدم على امتداد ساحل خليج العقبـة الغربى إلى منطقة شرم الشيـخ لتحتلها وتفتح المضيق للملاحة الإسرائيلية[٢٦] .

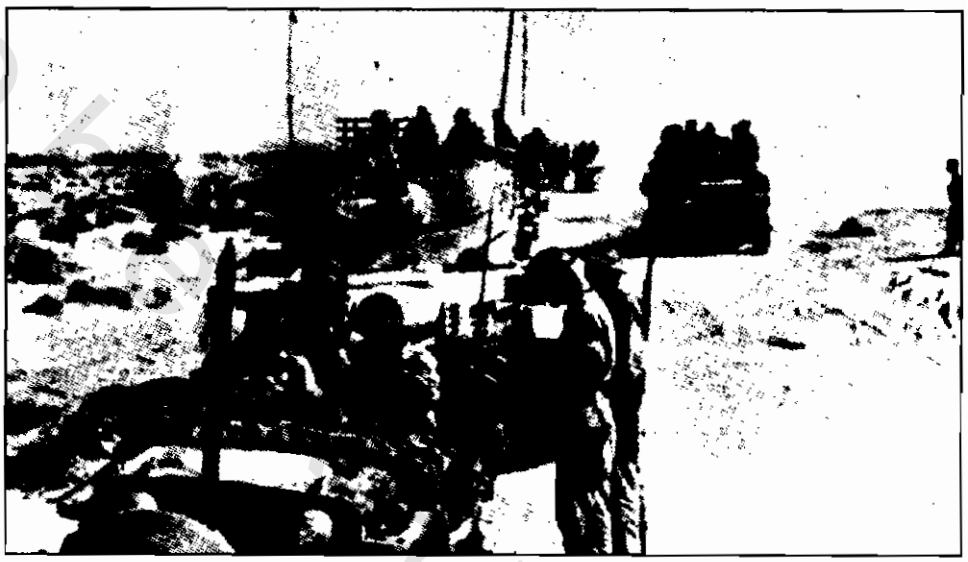

تقدم اللواء ٩ الميكانيكى على امتداد ساحل خليج العقبة إلى شرم الشيخ

أحداث القتال يوم الخميس ١ نوفمبر

على الاتجاه التعبوى الجنوبى :استمرت مجموعة اللواء ٢ المشاه حتى الساعة الثامنة مساء ٣١ أكتوبر فى قفل المدخـل الشرقى لممر متلا ، فى وجة محاولات اختراقه بمجموعة اللواء ٢٠٢ المظلـى ، ثم انتقلت تحـت ستر الظلام الى المـدخل الغربى لـلممر كمرحلـة أولى من مراحل تنفيذ قرار توحيد الجبهة .

على الاتجاه التـعبوى الشمالى : تعرضت مجموعة اللواء ٥ المشاه منذ الساعة الثالثة يوم ١ نوفمبر لهجـوم رئيسى من مجموعة الـعمليات ٧٧ بعـد تمهيد نيرانى كثيـف ، اشترك فيه الأسطول الفرنسى من البـحر بالطراد جورج ليجوس الذى اطلق نحو ٤٠٠ قذيفة عيار ١٥٢ ملليمتر لتكثيف نيران المدفعية الإسرائيـلية للهجوم . وقبل أن ينبلج الفجر ، كانت دفاعات

رفح قد اخترقت جزئيا ، وبدأت مجموعة اللواء ٥ المشاه ترتد غربا نحو العريش ، ونجحت فى إخلاء دفاعاتها تمامًا حوالى الثامنة والنصف صباحًا .

وقامت قيادة الفرقة ٣ المشاه ومجموعة اللواء ٤ المشاه بالانسحاب من العريش الى غرب القناة تحت ستر بعض الأعمال التعطيلية فى منطقة الكيلو متر ٣٨ ، والريسة على الطريق الشمالى ، وبير لحفن على الطريق العرضى الذى يصل بين الطريقين الشمالى والأوسط .

منطقة مدخل خليج العقبة

على إثر استلام قائد المنطقه أمر الانسحاب إلى الضفة الغربية للقناة[٢٧] قام بتقدير موقفه ، واقترح على القيادة العامة أن يستمر فى مكانه لمواجهة الهجوم الإسرائيلى المتوقع رغم الظروف المعاكسة التى تحيط به ، وقد وافقته القيادة العامة على ذلك[٢٨] .

الاحتياطيات التعبوية والاستراتيجية

أمّت قيادة الفرقة ٤ المدرعة والمجموعة ٢ المدرعه ومجموعتى اللوائين ٤٢٦ و ٣٠٠ من جيش التحرير الوطنى والألاى الثانى استطلاع عبور قناة السويس للضفة الغربية ، واتخاذ المواقع المحددة لها فيها . كما انتقلت المجموعة الأولى المدرعة ومجموعة اللواء الثالث المشاه واللواء ٩٩ المشاه الاحتياطى إلى منطقة بير الجفجافة ، ثم بدأت مع أخر ضوء فى استكمال التحرك صوب الإسماعيلية .

وحوالى الساعة الخامسة مساء ، صدرت الأوامر من القيادة العامة بتحرك الفرقة ٤ المدرعة إلى القاهرة ، وكذا الفرقة الثالثة المشاه ، فلم يعد لدى القيادة الشرقية ذلك الاحتياطى التعبوى الذى تستند إليه خطة الدفاع عن منطقة قناة السويس ، مما دفعها إلى تعديل خطتها لمواجهة هذا الموقف الجديد بالإضافة إلى زوال فرص القتال المتحرك ، بعد أن أحرزت قوات العدوان الثلاثى السيادة الجوية فى سماء المسرح .

المعارك البحرية :

أحكمت الأساطيل الانجلو فرنسية حلقة الحصار حول سواحل مصر على البحرين المتوسط والأحمر ، وأوقفت الملاحة البحرية من وإلى موانىء مصر . كما اشترك الأسطول الفرنسى فى قصف دفاعات رفح لمعاونة هجوم مجموعة العمليات ٧٧ عليها ، واعترض الطراد البريطانى نيوفوندلاند الفرقاطة دمياط ، وأغرقها أمام رأس غارب فى خليج السويس[٢٩] .

. . . وصدرت أوامر القيادة العامة بتحرك الفرقة ٤ المدرّعة

وتمكنت الفرقاطة رشيد من الخروج من مرسى شرم الشيخ فى الساعة الخامسة عصراً واختراق الحصار المضروب حولها بالطراد نيوفوندلاند والمدمرتان كرين وديانا البريطانيتين والمدمرة جازيل الفرنسية ، ونجحت فى الوصول سالمة الى مرسى شرم الوجه بالشاطىء السعودى حوالى الحادية عشرة يوم ٢نوفمبر[٣٠] .

وانقضت الطائرات الفرنسية على المدمرة الناصر والفرقاطة طارق ، منتهزة فرصة انشغالهما فى تنظيم عملية ترحيل رعايا الولايات المتحدة على السفن الأمريكية ، فنشبت معركة جو بحرية فيما بين الساعة السابعة والربع والعاشرة والثلث صباحاً ، دون أن تتمكن الطائرات من إصابة السفينتين [٣١] .

الأعمال الجوية :

انتقلت الطائرات التى نجت من الضربة الجوية الأنجلوفرنسية إلى مطارات أخرى فى

عمق الجمهورية بينما توجه البعض الآخر إلى مطارات صديقة بالدول العربية فى الشرق والجنوب .

وركزت القوات الجوية المعادية غاراتها ، حيث حاولت الطائرات الإسرائيلية شل وإرباك ارتداد القوات البرية المصرية من سيناء إلى الضفة الغربية للقناة ، وعاونتها الطائرات الأنجلوفرنسية فى تلك المهمة . فضلاً عن استمرار قصف بعض الأهداف الحيوية فى منطقة القناة وغرب وجنوب الدلتا .

احداث القتال يوم الجمعة ٢نوفمبر

القوات المصرية

اتمت إخلاء شبه جزيرة سيناء طبقاً لقرار توحيد الجبهة غرب قناة السويس ، بينما ظلت قوات شرم الشيخ تحتل دفاعاتها فى انتظار وصول قوات العدو البرية الى المنطقة لصدها وتدميرها . أما قوات قطاع غزة فلم يكن أمامها إلا أن تتشبث بمواقعها الدفاعية ؛ نظراً لأن وضع القطاع الجغرافى لايسمح لها بالانسحاب بعد أن إحتل العدو منطقة رفح .

والتزاما بسوق الحقائق حلوها ومرها . . فإن أسلوب إنسحاب القوات المصرية من شبه جزيرة سيناء شابه الكثير من الفوضى والخروج عن التكتيك المعتمد فى كافة المدارس العسكرية ، بالقدر الذى جعل معظم التحركات التى تمت لتنفيذه تأخذ صورة التقهقر المشوب بالتفسخ ، وليس الانسحاب المنظم فى مراحل محددة من خط أمامى الى خط خلفى على نحو ما يقضى به العرف العسكرى . ومامن شك فى أن هذه التجربة المؤسفة تركت آثارها السيئة على انسحاب صيف ١٩٦٧ ، الذى انقلب الى تقهقر انفلتت فيه عرى التشكيلات والوحدات ، وهام الجميع على وجوههم فوقعت بهم الخسائر الفادحة التى ماكانت لتحدث بذلك القدر الهائل ، لو ساد ضبط النفس والانضباط العسكرى والسيطرة الحازمة على تلك القوات المنسحبة .

وفى منطقة قناة السويس ، ركزت عناصر الدفاع الجوى جهودها لحماية المعابر القليلة من خطرالغارات الأنجلوفرنسية العنيفة التى حاولت تدميرها لتقطع خط الرجعة على القوات المنسحبة من شبه جزيرة سيناء ، حتى تلحق بها القوات البرية الإسرائيلية وتدمرها طبقاً لما اتفق عليه فى بروتوكول سيفر .

وبمجرد أن أكملت قوات سيناء العبور إلى الضفة الغربية ، قام المهندسون العسكريون بنسف تلك المعابر وسد قناة السويس فى وجه الغزو البحرى الوشيك كدرس مستفاد من عدوان بريطانيا عام ١٨٨٢ ، وماتضمنه من وعود دى ليسبس لعرابى بعدم السماح للجنرال وولسلى بالدخول بسفنه عبر القناة لغزو مصر ، وماترتب على ذلك من دخول تلك السفن ، ونجاح القوات المعتدية فى احتلال مصر .

امّا فى منطقة القناة فقد استمرت قيادة المنطقة الشرقية فى تنظيم الدفاع والسيطرة على التحركات الى المواقع الجديدة ؛ تنفيذاً لقرار توحيد الجبهة غرب القناة .كما استمرت القيادة العامه فى السيطرة على عملية إعادة تجميع الاحتياطى الاستراتيجى من القوات التى أخلت سيناء . وبنهاية هذا اليوم ، كانت الطائرات التى سلمت من الضربة الجوية الأنجلوفرنسية قد اتمت الانتقال إلى مطارات عربية صديقة خارج الجمهورية .

قوات العدوان الثلاثى :

القوات الإسرائيلية :

ظلت مجموعة اللواء ٢٠٢المظلى ثابتة فى أماكنها حول المدخل الشرقى لممر متلا لليوم الثانى ، دون أن تشعر بانسحاب مجموعة اللواء٢ مشاه الى غرب الممر . وفى الساعة الخامسة إلا الربع اسقطت سريتا مظلات من هذا اللواء فوق مطار الطور ، ثم نقلت اليه جواً من إيلات الكتيبة ١١٢من اللواء ١٢ المشاه الإسرائيلى تمهيداً لإحكام حلقة الحصار حول شرم الشيخ .

وحوالى الساعة الخامسة صباحاً ، بدأت مجموعة اللواء ٩ المشاه الميكانيكى التقدم من رأس النقب نحو عين الفرطاجة الواقعة الى الغرب من واسط[٣٢] .

وفى منطقة امّ قطف اخترقت قوات مجموعةالعمليات ٣٨ الدفاعات بعد قصف جوى وتمهيد نيرانى عنيف ضد الخنادق الخالية .واصطدمت مجموعة اللواء٢٧ الميكانيكى المندفعة صوب قلب الدفاعات من جهة الغرب بمجموعة اللواء ٧ المدرع المندفعة اليها من الشرق ، فدارت بينهما معركة تصادمية حامية أسفرت عن تدمير ثمان دبابات ، قبل أن تتدخل الطائرات الإسرائيلية وتنبهها إلى هذا الخطأ الجسيم ، الذى يعود سببه إلى نجاح مجموعة اللواء ٦ المشاة المصرية فى الانسحاب من ام قطف ، دون أن يشعر بها العدو. وقد اهتمت

رئاسة الأركان الإسرائيلية بهذا الحادث[٣٣] واستنبطت منه الدروس المستفادة التى تكفل عدم تكراره فى المستقبل ، وهو الأمر الذى لم يفعل الجانب المصرى مثله ، مما تسبب فى وقوعه فى نفس الخطأ أكثر من مره.

ودخلت قوات مجموعة العمليات ٧٧بلدة العريش ، بعد أن أخلتها مؤخرة مجموعة اللواء ٤ المشاه وقيادة الفرقة الثالثة المشاه ، بينما كانت مجموعة اللواء ١٢ المشاه المدعمة تهاجم القسم الشمالى من قطاع غزه ، وتقتحم البلدة ثم تندفع منها جنوباً نحو خان يونس ، حيث توقفت أمامها عند أخر ضوء [٣٤] .

القوات الانجلو فرنسية وردود فعل مصر :

بينما كانت سفن الغزو تقترب حثيثاً من ساحل بورسعيد ، اتسع مجال التمهيد الجوى المركز ضد مصر فشمل أهدافاً مدنية أيضاً ، بعد أن تأكدت القيادة الأنجلوفرنسية بقبرص من خلو مسرح الحرب من الطائرات المصرية . وما إن قصفت هوائيات الإذاعة المصرية بأبى زعبل وأسكتت إرسالها حتى أعلنت إذاعة دمشق نداء « هنا القاهرة » .

الرئيس عبد الناصر فى طريقه إلى الجامع الأزهر

ظهر يوم ٢ نوفمبر ١٩٥٦

وكان أبرز أحداث يوم الجمعة ٢ نوفمبر ١٩٥٦ ، ذهاب الرئيس عبد الناصر فى موكب مكشوف ليلقى تلك الخطبة الشهيرة من فوق منبر الجامع الأزهر عقب الصلاة ، فكشف فيها عن حقيقة التواطؤ الثلاثى وأهدافه العدوانية ، ووضع ميثاق النضال الشعبى لمقابلة الغزو الأنجلوفرنسى ، فكان مما قاله الآتى :

« فى هذه الأيام التى نكافح فيها من أجل حريتنا وشرف الوطن ، أحب أن أقول لكم إن مصركانت دائماً مقبرة الغزاة . بعد الغارة الأولى البريطانية الفرنسية التى حدثت ليلة الأربعاء الماضى صرنا نحارب فى جبهتين ، جبهة الإسرائيلين على الحدود ، وجبهة الاستعمار الأنجلوفرنسى فى القناة . وكان لابد أن نتخذ قراراً سريعاً وحاسماً لإحباط خطة العدو ، إذ كان الغرض من جذب القوات المسلحة المصرية إلى سيناء هو أن تصل القوات الأنجلوفرنسية إلى القناة ، فأصدرت الأمر للقائد العام للقوات المسلحة بسحب جميع القوات المصرية من سيناء إلى غرب قناة السويس ، حتى تكون بجانب الشعب لملاقاة الإستعمـــار ».

« لقد تم سحب قواتنا من سيناء وتركنا قواتًا إنتحارية هناك ، ورجعت جميع قواتنا إلى القناة والدلتا ، ونحن فى انتظار الإنجليز والفرنسيين » .

« سأقاتل معكم ضد أى غزو .... سنقاتل إلى أخر نقطة دم .... لن نستسلم أبدًا ، وسنبنى بلدًا وتاريخًا ومستقبلاً ، سنجاهد ونقاتل وننتصر بإذن الله » .

وقد ألهبت تلك الخطبة التاريخية المشاعر الوطنية فى الأمة العربية من الخليج إلى المحيط ، واستجابت جماهير مصر للنداء فهبت تجاهد وتقاتل لتنتصر بعون الله ، ولتبنى بلداً وتاريخاً ومستقبلاً .

إلا أن دعاة التخاذل الذين لا تخلو من أفعالهم أية أحداث مصيرية ، أطلوا برؤوسهم مساء نفس اليوم ، عندما طلب وفد منهم برئاسة سليمان حافظ وزير الداخلية السابق مقابلة الرئيس عبد الناصر لينصحه بالتنحى والاستسلام .[٣٦] وكان الرائد صلاح سالم زميله فى مجلس الثورة السابق قد نصحه أيضاً بأن يقوم وباقى الزملاء ، بالتوجه إلى مبنى السفارة البريطانية بالقاهرة لتسليم أنفسهم للسفير همفرى ثريفليان ![٣٧] .

أما اللواء محمد عبد الحكيم على عامر وزير الحربية والقائد العام ، فلم يهبط بفكره الى هذا الدرك من الانـهيار المعنوى ، بـل اكتفى بالقـول : " بأن الاستمرار فى المـعركه سوف يترتب عليه تدمير البلاد وقتل الكثيرين من المدنيين ، ولسوف يكره الشعب النظام والقائمين عليه ، ولهذا فهو ينصح مخلصاً بأن نطالب بوقف القتال تفادياً لكل ذلك [٣٨] .

أما رأى أغلبية أعضاء مجلس الثورة السابق الـذين جمعهم الرئيس جمال عبد الناصر لمناقشه تلك الاقتـراحات المتخاذلة ، فكانوا على تصميـم رجل واحد " إنه إذا كان لابد من أن نخسر المعركة ، فلا أقل مـن أن نخسرها بشـرف ، أما التسليم فسوف يدفع الشعب إلى احتقارنا ، وأن الكره الذى يخشاه عبد الحكـيم عامر لهو أخف وطأه من أن نسقط فى أعين الشعب ، ونفقد احترام العالم أجمع [٣٩] .

أحداث القتال يوم السبت ٣ نوفمبر :

القوات المصرية

اقتصرت أعمال قوات منطقة شرم الشيخ علـى تعديل أوضاع مواقعها الدفاعية ؛ بهدف تركيز الدفاع عـن منطقة شرم الشيخ فقط ، بعـد أن نزل العدو بالطور واحتلها بنـحو كتيبة ونصف مشاه ، فقطع خط الرجعة على قوات شرم الشـيخ إلى الضفة الغربية للقناة ، فضلاً عن عدم كـفاية القوات المـتيسرة لـتأمين الدفاع عـن رأس نصرانى ؛ حيـث توجد المدفـعية الساحلية التى تقفل الخليج - وشرم الشيخ معاً .

غير أن هذا الـتعديل أدى الى فقـد أهم دعائم ثبات الـدفاعات ، بعد أن فقـد العمق اللازم للمـناورات العرضية . وكان مـن الأصوب أن تستغل طـبيعة الأرض الملائمة لـلقتال التعطـيلى وبث الكمـائن وإقامة الموانع التـعطيلية علـى امتداد وادى كيد الشـديد الوعورة ، وكذلك وادى خشب الكثير الانحناءات ؛ لتكبيد العدو أفدح الخسائر ، لاسيما وقد بعد عن قواعده الرئيسية بمسافات شاسعة وأنهكه التحرك الطويل فوق أرض بالغة الوعورة .

وفى قطاع غزه ، أدارت عناصر الفرقة الثامنـة حرس حدود فلسطين معركة دفاعية ضد مـجموعة اللواء ١٢ المشاه قيادة العقيد دافيد الـيعازر ، وقاتل جنودها جنبـاً إلى جنب أهالى بلدة خان يونس بضراوة حتى النهاية .

وفى منـطقة قناة الـسويس ، التحـمت جماهير الـشعب التى وزعـت عليها الحـكومة

الأسلحة مع الجنـود ، وراح الجميع يجهـزون الدفاعـات ، كما بدأ احتياطى القيـاده الشرقية يقيم خط الدفاع الثانى حول بلدة العباسة .

القـوات الإسرائيلية (انظر الخريطة رقم ٦)

بدأت مجموعة اللواء ٢٠٢ المظلى التقدم داخـل ممر متلا الذى أخلته القوات المصرية من يومين سابقين ، فوصلت إلى مدخله الغربى بعد ١١٥ ساعه من إسقاط الكتيبة ٨٩٠ المظلية فى صدر الحـيطان ، حيـث دفعت بعـض عناصرهـا إلى رأس سدر والطـور على السـاحل الشرقى لخليج السويس [٤٠] .

كمـا تابعت مـجموعة الـلواء ٩ المشاه المـيكانـيكى التـحرك صوب رأس نصـرانى ، فاصطدمت بكمين قرب نهايه وادى كيد عطل تقدمها طيلة ليلة ٣/ ٤ نوفمبر .

وقد حقق العقيد ابراهام يوفيه - بنجاحه فى اجـتياز سلسلة الأودية البالغة الوعورة فيما بين رأس النقـــب ونبـق - إنجازات لا تقـل فى قيمتهـا عن نجاحه فى اجتياح دفاعات شرم الشيخ بعـدئذ . وكانت تلك الأودية الضـيقة التى تحف بها المـرتفعات الشاهقة مـن جانبها وتكثر بهـا التعاريج والانثناءات الحـادة توفر الكثير من الأمـاكن المثالية لبث الـكمائن وزرع الألغام والشراك الخداعـية ؛ ولهذا فقد كان مثيراً للـدهشة ألا تعمد قياده منطـقه شرم الشيخ إلى تنفـيذ شىء من ذلك اللـهم ، إلا كمين وادى كيد الذى عـطل تقدم مجمـوعة اللواء ٩ المشاه الميكانيكى طيلة ليله ٣/ ٤ نوفمبر رغم ضعف تكوينه . ثم أن هذه المجموعة باتت أكثر من ليلة فى هذا الطريق الطويل ، فلم ينتهز أحد تلك الفرص المتكرره لمباغتة معسكرها تحت جنح الظلام[٤١] .

وفى قطاع غزة ، أتمت مجمـوعة اللواء١١ المـشاه احتلاله ، وبدأت فى تطـهير أوكار الفدائيين داخل القرى والأحراش وفرض الحكم العسكرى على الأهالى [٤٢] .

القوات الانجلوفرنسية :

عندمـا أرخى الليل أستـاره ، تعرض مخطط الـعدوان الثلاثى إلى نـكسة ثانية عـندما اجتمع طرفان منه خفيـة عن الثالث ، ليتفقا على احتلال القطاع الشـمالى من قناة السويس بأن تقوم إسرائيل بتأمـين منطقة القنطرة شـرق ، لتسقط فرنسا عليها قوة من المظلات بقيادة الجنرال جازان . وقد أرسل الأدميرال الفرنسى بيير ديسكار بارجو ، نائب القائد العام لقوات

الغزو ، إلى وزارة الدفاع الفرنسية من وراء ظهر القائد العام الجنرال تشارلز كيتلى ، يطلب إخراج كتيبتى مظلات من تحت القيادة المشتركة الأنجلوفرنسية ليستخدمهما فى مخططه الثنائى . كما أرسل تعليماته أيضاً الى الكولونيل موريس الملحق العسكرى الفرنسى بتل أبيب[٤٣] ؛ لوضع تفاصيل تلك العملية الثنائية وتنسيقها مع القيادة الإسرائيلية .

وحاول موشيه ديان رئيس الأركان العامة تبسيط العملية فعرض على موريس استخدام ساحل العريش للابرار البحرى الفرنسى ، ثم التقدم صوب القنطرة فبور سعيد . ولم يوقف تلك المؤامرة الثنائية إلا قبول المملكة المتحدة تقديم موعد الغزو البحرى ؛ لتبدأ مرحلة التمهيد الجوى له فجر يوم ٤ نوفمبر ، بعد أن كانت تسوف وتؤجل تنفيذه خشية عواقبه .

أحداث القتال يوم الأحد ٤ نوفمبر :

تصدعات فى محور لندن - باريس - تل أبيب :

تأثر الصراع منذ بدايته بأحداث دبلوماسية وسياسية متعددة واكبت معاركه ، وتبلورت فى ثلاثة تصدعات متتالية فى علاقات التعاون المشترك بين أطراف العدوان الثلاثى ، أدت إلى إدخال بعض التعديلات على الخطط المتفق عليها مسبقاً ؛ خاصة ما يتعلق منها بحجم وتوقيتات عملية الغزو البحرى وأماكن عمل القوات المكلفة به .

وكان السبب وراء تلك التصدعات اختلاف أهداف كل طرف من العدوان ، الذى التأم شملهم للقيام به ، وقد حمل بروتوكول سيفر جرثومة تلك التصدعات منذ البداية ، ثم اتسع الخرق حتى كاد يبلغ حد التمزق فى ثلاث مناسبات متتالية .

وقد حدث التصدع الاول صباح ٣١ أكتوبر عندما لم تقع الضربة الجوية الأنجلوفرنسية فى موعدها المتفق عليه بسيفر ، فظن دافيد بن جوريون أن حليفيه قد خذلاه وتركاه وحيداً فى المسرح ، فبادر إلى إصدار الأمر بوقف كل أعمال القتال ، وسحب كافة القوات الإسرائيلية فوراً داخل حدود إسرائيل .

ثم حدث التصدع الثانى فى ظلام ليلة ٣ نوفمبر ، عندما سعت فرنسا وإسرائيل إلى العمل فى خفية عن الشريك الثالث المملكة المتحدة بعد أن اصطدم الأدميرال بارجو بالجنرال كيتلى لرغبته فى الإسراع بالغزو البحرى صباح ٤ نوفمبر ، قبل أن تضيع الفرصة ، بينما ظل كيتلى يرفض ذلك بعناد .

وعندما أحس الجنرال كيتلى بما يدور خلف ظهره ، بادر بعقد مجلس الحرب فى الساعة العاشرة قبل منتصف ليلة ٣/ ٤ نوفمبر ، الذى ضم كلاً من كيتلى وبارجو والجنرالان بوفر نائب قائد القوات البرية ، وجيل مدير الإدارة التكتيكية للقوات الفرنسية المنقولة جواً ، وماسو قائد الفرقة ١٠ المظليين ، والعميد فرنون بتلر قائد مجموعة اللواء ١٦ المظلى البريطانى (الشياطين الحمر) .

وشعر مجلس الوزراء بلندن بما يدور فى ابسكوبى من منازعات ، فأوفد انتونى هيد وزير الدفاع ، وجرالد تمبلر رئيس أركان حرب الإمبراطورية ؛ للوقوف على حقيقة الموقف بمركز القيادة المشتركة بقبرص . ووصل الوزير ورئيس الأركان إلى الجزيرة ؛ حيث انضما مباشرة إلى المجلس المنعقد بعد منتصف الليل بنحو ساعتين .

واحتدت الأصوات وتطايرت الاتهامات ، وبدى أن عُرى التعاون المشترك سوف تتمزق لا محالة ، وإذا بالأدميرال بارجو يلح فى حمل كيتلى على الرضوخ لوجهة نظره بشن عملية مزدوجة اقترحها الجنرال بوفر ؛ لتبدأ صباح ٤ نوفمبر بتدمير المدفعية الساحلية بشاطيء الغزو وأجهزة الرادار ، وعناصر الدفاع الجوى ومراكز المقاومة البرية على ان يتبعها صباح ٥ نوفمبر هبوط المظليين البريطانيين فوق مطار الجميل غرب بور سعيد ، بينما يهبط المظليون الفرنسيون جنوب بور سعيد وفوق بور فؤاد ، لتأمين المحيط الخارجى لرأس شاطيء الغزو(٤٤) .

المظليون البريطانيون يهبطون فى الجميل والفرنسيون جنوب بورسعيد

ثم يبدأ الشق الثانى للعملية المزدوجة صباح ٦ نوفمبر بالإبرار البحرى لعملية الغزو ؛ طبقاً لما سبق الاتفاق عليه فى خطة موسكتير المعدلة النهائية .

أما التصدع الثالث والأكثر خطورة وأبعد اثراً . . فقد جاء من قبل إسرائيل عندما قبلت فى الساعة الثامنة والنصف من مساء ٤ نوفمبر قرار الجمعية العمومية للأمم المتحدة بوقف اطلاق النار ، تحت ضغط الولايات المتحدة المتزايد ، والتلويح بفرض العقوبات الاقتصادية على إسرائيل إذا لم توقف القتال فوراً [٤٥] .

ولما كان بن جوريون قد حقق أكثر أهدافه من العدوان باحتلال سيناء الشمالية وقطاع غزة ، فقد فاجأ حليفيه ، المملكة المتحدة وفرنسا ، بقبول القرار دون أن يكلف نفسه عناء إخطارهما بذلك ، فوضعهما فى موقف بالغ الحرج ، إذ كيف يستمرا فى ادعاء أن تدخلهما فى النزاع ينبع عن رغبة صادقة للفصل بين إسرائيل ومصر ووقف القتال الدائر بينهما ، إذا كانت إسرائيل ومصر قد قبلتا وقفه فعلاً !

وكانت تلك اللطمة الانتهازية كافية لتمزيق عرى التواطؤ الثلاثى ، لولا أن انبرى جى موليه رئيس وزراء فرنسا بمعاتبة بن جوريون على فعلته ، التى وضعت شريكيه فى موقف ملؤه السخرية . . . ثم إن إسرائيل ، وإن كانت قد حققت أكثر أهدافها وقتذاك ، فإنها لم تستكمل بعد أثمن أهدافها وهو احتلال منطقه شرم الشيخ لفتح خليج العقبة لسفنها .

وقد أحسن موليه الضرب على الوتر الحساس ، فكان أن تراجع بن جوريون وأمر مندوبه الدائم بالأمم المتحدة أن يضيف إلى نص بيانه الرسمى بقبول وقف النيران فقرة واحدة ، تحمل ثلاثة شروط ، هى : أن تقبل مصر الدخول مع إسرائيل فى مفاوضات مباشرة للسلام ، وأن تعد برفع حصارها الاقتصادى عن إسرائيل ، وأن توقف أعمال الفدائيين العرب ضد إسرائيل إلى الأبد .

وتلقى موليه وإيدن هذه الإضافة المكشوفة بالارتياح والامتنان ، فأصدرا أوامرهما للجنرال كيتلى بالاستمرار فى تنفيذ العدوان طبقاً لخطة موسكتير المعدلة النهائية .

القوات المصرية :

أصدرت القيادة الشرقية أمرها بتعزيز منطقة بور سعيد بعناصر من المدفعية المضادة للطائرات ، ومدفعية الميدان الصاروخية وعناصر من الفدائيين ، إلى جانب تعزيز المضايق

الواقعة جنوب بور سعيد بقوات من المشاه ، كما أمرت بنسف وإغراق عدة منشآت فى ميناء بور سعيد ، وكان اللافت للنظر أنها لم تعمل أى إجراءات لزرع ألغام فى ساحل الغزو المحتمل ، أو إقامة موانع بحرية أو برية فيه ، مما جعل قوات الغزو تجتازه بيسر ودون خسائر تقريباً (٤٦) .

وعلى الطرف الآخر من قناه السويس ، أمرت القيادة الشرقية بدعم منطقة السويس بكتيبة مشاه من اللواء ٩٩ المشاه الاحتياطى . ويتضح من ذلك أنها لم تكن حتى هذا الوقت المتأخر ، قد تمكنت من تحديد اتجاه الغزو البحرى ، الذى كان وقتها على مشارف شاطيء الغزو المنتخب ، ولو قامت طائرة أو سفينة أو حتى زورق استطلاع بجولة أمام ساحل مصر على البحر المتوسط ، لظهرت سفن الغزو الكثيرة والمتعددة الأنواع وهى تمخر مياهه فى اتجاه رأس الشاطيء بجلاء لا تخطؤه العين .

وحدثت معركة بحرية شمال فنار البرلس ، بين ثلاثة لنشات طوربيد مصرية ، وبعض قطع الأسطول البريطانى غير أن طائرات العدو أغرقت تلك اللنشات .

القوات الإسرائيلية :

قامت مجموعة اللواء ٩ المشاه الميكانيكى بعد قصف دفاعات رأس نصرانى باقتحام المواقع الخالية ، التى انتقلت منها القوات المصرية إلى شرم الشيخ ثم تابعت القوات الإسرائيلية تقدمها جنوباً إلى أن اصطدمت بنقط القتال الخارجية لمنطقة شرم الشيخ الدفاعية ، وبعد محاولة فاشلة لاقتحامها من الحركة ، توقفت أمامها وراحت تعد لهجوم ليلى مدبر ضدها ، إلا أن مصيره لم يكن أكثر حظاً من سابقه .

القوات الانجلوفرنسية :

كان الجنرال أندريه بوفر بمجرد أن وصل الى مركز قيادته ، بمطار تايمبو بقبرص ، بعد ظهر ٢٩ أكتوبر - قادماً من الجزائر ، وبصحبته ثلاثه آلايات من جنود المظلات - قد استلم البلاغ ببدء القوات الإسرائيلية العدوان فى ممر متلا ، فعكف للتو على وضع اللمسات النهائية للغزو البحرى الوشيك ، وقد تبعه الجنرال هيوستوكويل فى فجر اليوم التالى ، حيث فتح مركز قيادته فى اكروتيرى (٤٧) .

الجنرال بوفر بمركز قيادته بمطار تايمبو

وخلال تلك الفترة كانت المدمرات البريطانية تتجمع خارج مينائى مالطة وقبرص ؛ استعداداً لحراسة قوافل سفن الغزو المتجهة الى بور سعيد ، بينما كانت المدمرات الفرنسيه كير سانت وبوفيه وسيركوف تقوم بداوريات الحراسه قرب سواحل إسرائيل فيما بين حيفا وتل أبيب .

وتحت الزعم بإجراء تجربة على تحميل السفن بقوات ومعدات الغزو ، أصدر الجنرال ستوكويل أمره ببدء عملية التحميل فى الساعة العاشرة صباح ٣٠ اكتوبر ، التى انتهت فى نفس لحظة انقضاض الطائرات الكانبره على مطارات مصر ، وقصفها بقنابلها فى السابعة من مساء نفس اليوم .

وبهذا اختصر ستوكويل يومًا كاملاً فى توقيتات عملية موسكيتير ؛ مما اتاح له ان يبكر بها من ٨ إلى ٧ نوفمبر . وكان أسطول الغزو البريطانى يمخر عباب البحر المتوسط شرقاً ، بعد أن غادر موانى مالطة خلال ليلة ٣١ اكتوبر ، وذلك فى نفس الوقت الذى غادر فيه أسطول الغزو الفرنسى ميناء قسنطينة الجزائرى ؛ ليلحق بالأسطول البريطانى فى الغد ، الذى كان نفس موعد مغادرة أسطول غزو ثالث جزيرة قبرص لينضم إلى الأسطولين سالفى الذكر يوم ٦ نوفمبر قرب ساحل بور سعيد ؛ حيث احتشدت ٥ حاملات طائرات تحمل ٢٥٠ طائرة قتال ، و٦ طاردات إحداها بالبحر الأحمر ، و١٧ مدمرة إحداها بالبحر الأحمر ، و ١٤ فرقاطة منها ٢ بالبحر الأحمر ، و ٧ غواصات ، ونحو ٢٥٠ سفينة مختلفة الأنواع بين ناقلة وقود وتموين وورشة وسفينة ركاب وسفينة بضائع وسفينة مساعدة .

وبينما كانت تلك الأساطيل الثلاثة وما تتضمنه من سفن كثيرة - تجد السير نحو شاطيء الغزو صباح ٤ نوفمبر ، كانت الطائرات الأنجلوفرنسية تلين لها دفاعات رأس الشاطيء ، وتقصف عقد المواصلات الحديدية ، والمعسكرات ، ومرابض نيران المدفعية المضادة للطائرات ، وعدة أهداف أخرى .

وكانت حامية بور سعيد التى لم تتجاوز فى شهر اكتوبر مجرد كتيبتين مشاه احتياط ، وبطارية مدفعية ساحلية ، وبعض المدافع المضادة للطائرات قد عززت - بمجرد اكتشاف أهداف التواطؤ الثلاثى ، وتوقع العدوان الأنجلوفرنسى - بقوات إضافية ، وصلتها يوم ٤ نوفمبر ، تشتمل على ثلاث كتائب حرس وطنى ، وكتيبة مشاه احتياط ثالثة ، كما وصل إليها أيضاً اربعة مدافع اقتحام سو ١٠٠ ذاتية الحركة من الأسلحة التى تم اخلاؤها من سيناء .

وفى صباح ٥ نوفمبر ، وصل العميد أركان الحرب صلاح الدين صادق الموجى رئيس أركان القيادة الشرقية، متطوعاً ليتولى قيادة بور سعيد ، وبرفقته قطار كامل من الأسلحة الصغيرة والرشاشات لتوزيعها على المواطنين ، وقد أمر بوضع براميل مليئة بالرمال لقفل ممرات مطار الجميل ؛ بهدف منع طائرات الأعداء من الهبوط فيه ، كما أنشأ أربعة أوكار مدافع ماكينة على المحيط الخارجى للمطار [٤٨] .

وطيلة هذا اليوم ، راحت اذاعات العدو تصب دعاياتها ضد شعب مصر ورئيس جمهوريتها ، وتنذرهم بالويل والثبور . وكان أعجب ما حدث فى هذا اليوم الذى شهد أعنف معركة دعائية فى تاريخ الشرق الأوسط ، أن أمسك مدير محطة إذاعة صوت بريطانيا بقبرص بالميكروفون ، ليذيع على العالم الرسالة التالية : أرجو أن يكون مفهوماً لدى حضرات المستمعين طبيعة الظروف التى نعمل فى جوها ، وأننا لا نوافق أبداً على كل ما يذاع " .

أحداث القتال يوم الاثنين ٥ نوفمبر :

القوات المصرية :

نسفت قوات الدفاع عن بور سعيد كوبرى الجميل غرب المدينة إلا أن التجهيزات الهندسية وتوزيع القوات والأسلحة على النقط الحيوية برأس الشاطىء لم تتم على الصورة المنشودة ، فضلاً عما سبق ذكره من أن إغفال زرع الألغام والموانع فى ساحل الغزو أو المطارات والأراضى الصالحة للإبرار الجوى ونزول الطائرات الخفيفة أدى إلى سهولة تنفيذ عمليات المظليين ، وسرعة استخدام الطائرات الأنجلوفرنسية لمطار الجميل ، والأراضى الصالحة لهبوطها وإقلاعها دون بذل أى مجهود لتطهيرها [٤٩] .

القوات الإسرائيلية :

عزم موشية ديان أن يطير بطائرة من طراز داكوتا الى الطور ؛ حيث يستقل بايبر كب إلى شرم الشيخ ليحضر أخر معارك جولة خريف ١٩٥٦ ، ويتأكد من تنفيذ الهجوم على شرم الشيخ فى هذا اليوم . ولما لم تحضر البايبر كب فى موعدها ، استقل سيارة قيادة متجهة إلى شرم الشيخ فلم يبلغها ، إلا بعد أن كانت مجموعة اللواء ٩ المشاه الميكانيكى قد اتمت اجتياح دفاعاتها ، واحتلال المنطقة ، وذلك حوالى الساعة التاسعة والنصف ليلاً ؛

حيث راح بعض الجنود المظليين يفتشون التلال المحيطه بالمنطقه بحثاً عن الشاردين ويجمعون الأسرى (٥٠) .

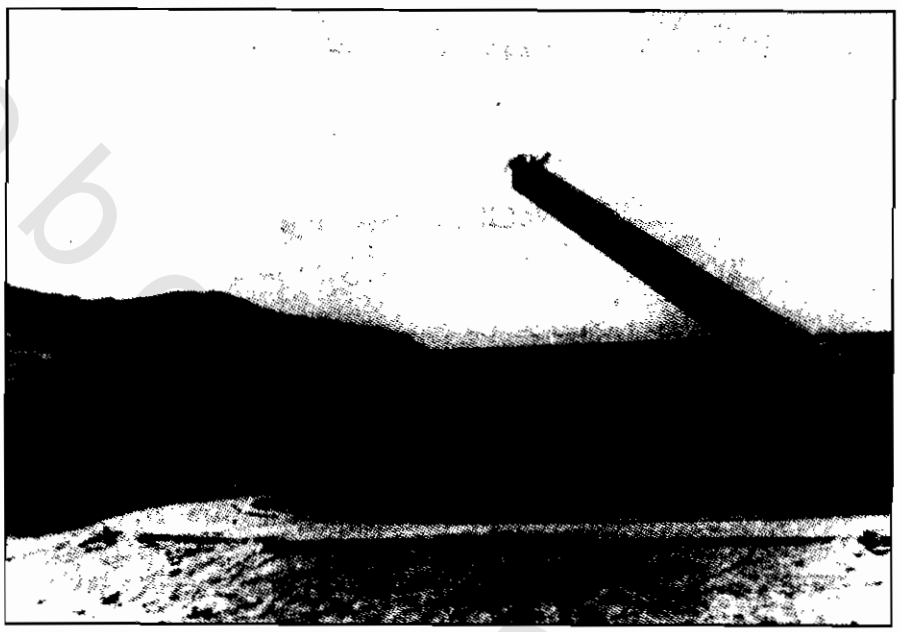

المدفع الساحلى عيار ٦ بوصة ويظهر أثر التدمير فى فوهة ماسورته

ولما كان رجال المدفعية الساحلية قد دمروا مدافعهم قبل الانسحاب من رأس النصرانى ؛ فقد زال سلاح قفل الخليج ، وراحت السفن الإسرائيلية والتى تحمل بضائع لإسرائيل تعبر مضيق الانتربراير البحرى من وإلى ميناء إيلات التى انتعشت أحوالها وتحولت فى بحر سنوات قليلة من قرية صغيرة إلى ميناء نشيط .

القوات الانجلوفرنسية :

استهل الجنرال كيتلى هجومه باقتحام جوى رأسى بالحوامات ، فوق سطوح بعض المنشأت الحيوية ببور سعيد وبور فؤاد ، بينما تعزل الطائرات الأنجلوفرنسية ميدان المعركة غرب وجنوب المدينة ، وتمنع القوات العسكرية وقوى الدفاع الشعبى من الاقتراب من مواقع إسقاط المظليين . ثم تمكن المظليون الفرنسيون فى الساعة التاسعة صباحاً من الاستيلاء على

كوبرى الرسوة ووابور المياه جنوب المدينة ، وقطعوا المياه عن بور سعيد وبور فؤاد [٥١] .

وفى الوقت نفسه ، أتمت قوات المظلات البريطانية احتلال وتأمين مطار الجميل غرب المدينه ، ثم أسقطت قوات إضافية أخرى بعد الظهر، كان قوامها من المظليين البريطانيين والفرنسيين أيضاً .

ومن طريف ما كان يحدث وقتئذ برئاسة هيئة أركان الحرب المصرية خلال هذا الغزو ، أن الفريق محمد إبراهيم رئيس الأركان ، وقد كان زميلاً للجنرال كيتلى بدوره سابقه بكلية أركان الحرب بإنجلترا - اعتاد كلما جاءه نبأ عن تحركات الغزو أن ينظر إلى خريطة الموقف العام وهو يردد القول . . . والآن ماذا تعتزم أن تفعل يا زميل الدراسة اللدود ؟

وفى الساعة الثانية والنصف عصراً سعت القيادة التكتيكية لقوات الاقتحام الجوى ، الرأسى إلى عقد اتفاق مؤقت مع العميد أركان الحرب صلاح الدين صادق الموجى ، قائد قوات الدفاع عن بور سعيد بغرض تجميد الموقف وكسب الوقت ، حتى تصل قوات الإبرار البحرى صباح يوم ٦ نوفمبر ؛ طبقاً للخطة المعتمدة ، وقد قبل الموجى وقف النيران المؤقت تحت شرط إعادة ضخ المياه للمدينة حتى لا تتعرض حياة الشيوخ والأطفال والنساء للخطر ، وبدفن الشهداء لتوقى انتشار الأوبئة الفتاكة بالمدينة ، وكلها إجراءات إنسانية يعمد إليها ألد الأعداء لتجنيب الأهالى المدنيين ويلات الحرب قدر الإمكان .

إلا أن أحد ضباط الشرطة استغل خط التليفون الوحيد المتصل بالقاهرة ؛ ليخطر وزير الداخلية زكريا محيى الدين بأن الموجى قد استسلم (٢٣) ؛ الأمر الذى أنكره القائد البريطانى بعد الحرب واشاد بشجاعه وهدوء أعصاب الموجى وحسن تصرفه فى مواجهة المواقف الصعبة .

والحقيقه أنه لما سلم العميد بتلر فى الساعة الخامسة والنصف شروط التسليم التى صاغها الجنرال ستوكويل على ظهر سفينة القيادة ، رفضها الموجى للتو فأكتفى بتلر بمواصلة وقف النيران حتى الساعة الحادية عشرة والنصف مساءً طبقاً للاتفاق الأول مع الموجى [٥٢] .

وكان الضمير العالمى فى مساء هذا اليوم قد أدان تلك الأعمال الأنجلوفرنسية ، ووصفها بالبربرية والحمق ، ثم أصدر الماريشال بولجانين رئيس الوزراء السوفييتى إنذاره الى كل من المملكة المتحدة وفرنسا وإسرائيل ، يدين فيه عدوانهم الآثم على مصر ، ويحذرهم من مغبة

تعريض السلام والأمن الدوليين للخطر ، وكان مما جاء فى إنذاره لإسرائيل ما يلى : [٥٣]

« إن الحكومة الإسرائيلية المجرمة التى تفتقر إلى الشعور بالمسئولية ، تتلاعب الآن بمصائر العالم وبمستقبل شعبها بالذات »

أما رسالتيه إلى المملكة المتحدة فرنسا فقد احتوت على الفقرة التالية :[٥٤]

إن الحرب التى أثارتها المملكة المتحدة وفرنسا واستخدامهما إسرائيل ضد مصر سيترتب عليها نتائج غاية فى الخطورة بالنسبة للسلام العالمى ، وإذا كانت تلك الحكومتين قد عمدتا إلى شريعة الغاب فى عدوانهما على مصر فليتذكر أنهما ليسا الوحشين الوحيدين فى تلك الغابة :[٥٥]

ومع ما احتوت عليه تلك الرسائل من تهديد سافر وتحذير شديد اللهجة ، فالواقع أن إجراءات الولايات المتحدة التى لوحت بها لدول العدوان ، كانت اشد تأثيراً عليها من الإنذار السوفيتى ، وذلك لأن قطع المساعدات عنها على نحو ما لوح به الرئيس ايزنهاور ، يترتب عليه أوخم العواقب التى لا تستطيع تلك الحكومات أن تتحملها .

أحداث القتال يوم الثلاثاء ٦ نوفمبر :

القوات المصرية

انشغلت القيادة الشرقية طيلة هذا اليوم فى دفع التعزيزات إلى بور سعيد للتمسك بمنافذها الجنوبية . كما ركزت القيادة العامة جهود القوات المسلحة وقوى النضال الشعبى حول المحيط الخارجى لرأس الشاطىء جنوب بحيرة المنزلة ، وفى شمال الإسماعلية[٥٦] .

كما قامت بعض الطائرات بمهام انتحارية على ارتفاعات منخفضة ضد تجمعات المظليين وقوات الاقتحام الجوى الرأسى برأس الشاطىء . وقد تمكنت من إنجاز مهامها بنجاح ، والعودة إلى مطارات سرية بالدلتا ، حيث يسهل اخفاؤها بين المزروعات الكثيفة . وقامت جماعات فدائية بعبور بحيرة المنزلة إلى بور سعيد ؛ حيث تولت تنظيم المقاومة الشعبية والسيطرة عليها .

القوات الانجلو فرنسية

وصلت قافلة الغزو البحرى أمام بور سعيد فى الساعة الرابعة والنصف من فجر يوم ٦ نوفمبر ؛ حيث انشطرت إلى قسمين ، توجه الأول منهما بحمولته من القوات البريطانية صوب ساحل المدينة بينما توجه القسم الثانى بحمولته من القوات الفرنسية صوب ساحل بور فؤاد (٥٧) .

وبعد تمهيد عنيف جداً بنيران الأسطول والطائرات ، استمر من الساعة الخامسة و ٢٥ دقيقة حتى السادسة ، بدأ الغزو البحرى الذى وصلت موجاته الأولى حوالى الساعة السادسة والربع إلى الشاطىء ، تحمل الفدائيين البحريين المدعمين بالدبابات . ولم يكن هذا الساحل رغم التقديرات السابقة باحتمال غزوه من البحر - قد جهز بأية موانع هندسية أو ألغام ؛ مما جعل نزول القوات عليه يتم بسهولة ويسر ، وبلا خسائر تقريباً .

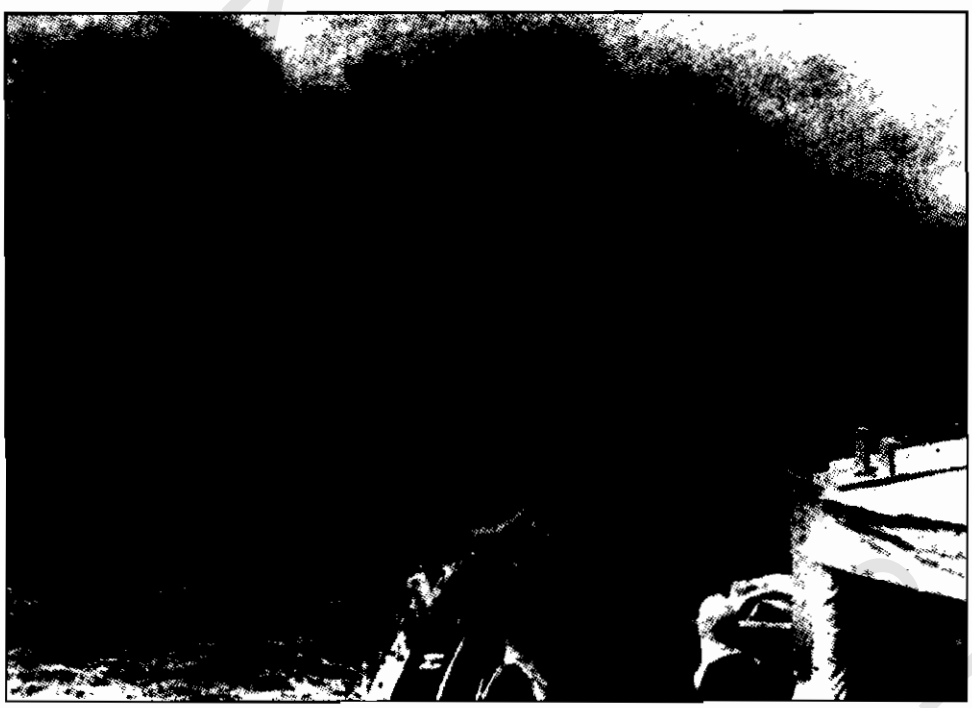

بعد تمهيد عنيف جدًا استمر ٢٥ دقيقة بدأ الغزو البحرى

إلا إنه بمجرد أن زحفت قوات الفدائيين البحرين لشق طريقها نحو بداية طريق القناة المتجه جنوباً نحو الإسماعيلية ، تصدت لها المقاومات العنيفة مما أجبر قياده الغزو على دفع التعزيزات لاحتلال بور سعيد نفسها ، فأنزلت كتيبه اقتحام جوى بالحوامات ، كما أنزلت آلاى دبابات سنتوريان على أرصفة الميناء ، ثم دفعته للتو لمعاونة الفدائيين البحريين .

وفى الساعة الثانية عصراً أبرق السيد انتونى ايدن رئيس وزراء المملكة المتحدة الى الجنرال تشارلز كيتلى يأمره بالاستعداد لوقف النيران اعتباراً من الساعة الخامسة ، مع محاولة كسب أكبر مساحة ممكنة من رأس الشاطيء قبل هذا الوقت(٥٨) . فدفع كيتلى على وجه السرعة بقوة من المظلات والصاعقة الفرنسية والدبابات البريطانية نحو الجنوب ، تمكنت من الوصول إلى منطقه رأس العش الواقعة على مسافه ١٧ كيلومتراً جنوب بور سعيد ، حيث أوقفتها المقاومات المصرية ، وكانت تلك النقطة هى أقصى ما وصلت إليه عملية الغزو البحرى ، التى كانت تهدف إلى احتلال السويس والإسماعيلية والقاهرة لتسقط نظام الحكم ، وتعيد مصر الى سابق عهدها بالاستعمار ، وتلغى تأميم شركه قناة السويس لتغترف من خيرات مواردها الغنيه التى حرمت منها شعب مصر ، زهاء مائة عام .

تفسخ محور التواطؤ

بينما كانت عقارب الساعة تلتقى عند الثانية عشرة من منتصف ليلة ٦/ ٧ نوفمبر ، كان السيد انتونى إيدن قد يقترب من حافة الانهيار العصبى . وكم كانت المفاجأة مؤلمة لبطانته ، وهم يرون رئيس وزراء الإمبراطورية التى لم تكن تغيب عنها الشمس ، وقد انخرط فى البكاء ، بعد ان رأى نبوءته تتحقق ليلة أن توعد مصر لقيامها بتأميم شركه القناه بقوله : « إننى أفضل أن تنهار الإمبراطوريه البريطانية دفعة واحدة ، على أن تظل تعانى سكرات موت بطيء[٥٩] .

وما ان استرد بعض جأشه ، حتى أرسل إلى سكرتير عام الأمم المتحدة يخطره برضوخه لقرار وقف النيران ، ولما تقطع قواته من أرض مصر سوى جزء من الألف من المسافة التى قطعتها لتصل من أراضى المانيا الغربية والجزيرة البريطانية إلى ساحل بور سعيد .

وكانت خيبة أمل المسيو جى موليه فى زميله السير إيدن شديدة فيما أبرمه من قرار وقف النيران بمفرده . ورغم الإلحاح والتضرع الذى وجهه إليه ؛ ليرجع عن ذلك القرار الذى هدم المعبد على رؤوس ثلاثى تواطؤ سيفر ، فقد ظل إيدن على تخاذله الذى لم يجد المسيو موليه حياله إلا أن يأمر الجنرال بول إيلى ، رئيس هيئة أركان الحرب الفرنسية بإنقاذ مايمكن إنقاذه ، وحث الأدميرال بارجو على أن يعمل منفرداً ويبذل غاية جهده لتستولى قواته على المزيد من الأرض ، دون الالتفات إلى قرار وقف إطلاق النيران ، أو ما قد يبديه الجنرال كيتلى من اعتراضات .

وعندما اجتمع بارجو بقيادته لبحث الأمر اقترح معاونوة ثلاث خطط لتحقيق أوامر المسيو موليه ، تلخصت فى الآتى :[٦٠] .

خطة بارجو :

وتتلخص فى إسقاط مظليين فرنسيين على طول قناة السويس لاحتلالها .

خطة الزى :

وتتلخص فى أن يرتدى جنود إسرائيل الموجودون قرب ضفة القناة الشرقية الزى العسكرى الفرنسى ، ثم يزحفوا الى القناة ليحتلوا ضفتيها نيابة عن القوات الفرنسية ·

الخطة الحمراء

وتضيف إلى خطة الزى دفع قوات فرنسية على جناح السرعة لغيار القوات الإسرائيلية التى ترتدى الزى الفرنسى قبل أن يفتضح أمرها ، ولتعزز الأرض المكتسبه وتحكم السيطرة عليها ·

إلا أنه عندما اتصل المسيو موليه بزميله دافيد بن جوريون ؛ ليرجوه التعاون فى تنفيذ هذه المؤامرة الأخيرة ؛ فوجىء بصديقة يكشف عن انتهازيته ، وهو يقول له بنبرة التأكيد : ' لقد حققت إسرائيل كل ما كانت تصبو إليه ، ولم يعد هناك ما يدفعنا إلى مواصلة الحرب بعد موقف انتونى إيدن الأخير » (٦١) .

بهذا الرد الحاسم انتهت محاولة التآمر الفرنسية سالفة الذكر ، بينما كان السير انتونى إيدن يرسل إلى الجنرال كيتلى أمرًا قاطعًا بأن يمنع القوات الفرنسية من محاولة التقدم جنوبًا من رأس الشاطىء ، فيحيل كيتلى هذا الأمر إلى بتلر الذى يسارع بتنفيذه · ثم يتبعه إيدن بأمر ثانٍ فى الساعة الثانية من فجر ٧ نوفمبر بوقف النيران ، التى كان كيتلى قد أوقفها فعلا قبل ذلك بنيف وساعتين ، أى فى الساعة الثانية عشرة إلا ست دقائق من منتصف الليل ·

وبوقف النيران انتهت أعمال القتال النظامى فى مسرح الحرب ، وذهب السير إيدن إلى جزيرة جامايكا ليقضى فترة نقاهة تحققت فى نهايتها نبوءته الثانية ، التى قال فيها أن العالم لايتسع لى ولعبد الناصر ، ويجب على أحدنا أن يذهب فقد سقطت حكومته ، وأضطر إلى أن يعتزل الحياة السياسية ، ويذهب إلى غيابة التاريخ ، ثم لحقه جى موليه بعد قليل ، وإن بقيت وصمة التواطؤ الثلاثى تلطخ صفحات إيدن وموليه وبن جوريون ، كلما فتح قارىءمن الأجيال التالية سجل العدوان الثلاثى على مصر فى خريف ١٩٥٦ ·

التعليق :

فى حياة الشعوب قد يهون العمر إلا لحظة ، وتهون الأرض إلا موضعًا ·

ولقد كانت حرب العدوان الثلاثى هى اللحظة ، التى استردت فيها مصر إرادتها المتحررة ، والموضع الذى عاودت منه المسيرة فى ركب الدول ذات الكرامة الوطنية والتاريخ الحضارى ، الذى كانت قد بدأته فى فجر التاريخ .

ولقد ترتب على صمود مصر فى وجه هذا العدوان الثلاثى الكاسح ، وما لقيته من دعم ومؤازرة من أمة العرب والعالم الثالث ، أن ظهرت خريطة علاقات جديدة بين الدول لم يعد فيها مكان لممارسة الدول الاستعمارية دور السيد المطاع ، كما تحررت الإرادة الوطنية لغالبية الشعوب النامية التى قهرها الاستعمار زمنًا طويلاً ، ونتيجة لهذا الحدث الذى ترددت أصداؤه فى كل أرجاء العالم ، صار النصر السياسى الذى حققته مصر فى ختام ذلك العدوان ، بمثابة نقطة التحول إلى آفاق الاستقلال والحرية السياسية فى أجزاء كثيرة من المعمورة .

obeikandl.com

توثيق الفصل الثالث

obeikandl.com

obeikandl.com

(١) دايان ، موشيه : يوميـات معركة سيناء (القاهرة : إدارة المطبوعـات والنشر للقوات المسلحة ، ١٩٦٦) ، ص ١٠١ .

(٢) Nutting, Anthony – The Story of Suez (London : Constable, 1967), p. 105.

(٣) Love, Kennett – The Twice Fought War (New York : Mc Graw – Hill, 1969), p. 501.

(٤) Ibid, p. 599.

(٥) المصدر السابق : يوميات معركة سيناء ، ص ١٠٢ .

(٦) المصدر نفسه : ص ١٠١ .

(٧) المصدر نفسه : ص ١٠٢ .

(٨) دار المحفوظات المركزية العسكريـة : القاهرة ، الملف رقم ٦/٣٣٦ ، مسلسل ١١٣ ، كود ٣٧ .

(٩) المصدر نفسه : الملف رقم ٣/٢١٣ ، مسلسل ٤٢ ، كود ١٥ .

(١٠) المصدر السابق : يوميات معركة سيناء ، ص ٩٨ .

(١١) شارون ، أرييل : مذكرات آرييل شارون (بـيروت : مكتبة بيسان ، ١٩٩٢) ، ص ١٨٦ ، ١٨٧ .

(١٢) Dayan, Moshe – Story of My Life (London : Weidenfeld & Nicolson, 1976), pp. 205–206.

(١٣) المصدر السابق : دار المحفوظات المركزية العسكرية ، نفس الملف والمسلسل .

(١٤) المصدر السابق : مذكرات آرييل شارون ، ص ١٨٥ - ١٨٦ .

(١٥) المصدر السابق : يوميات معركة سيناء ، ص ١١٣ .

(١٦) Op.Cit.: The Twice Fought War, pp. 512–513.

(١٧) Lloyed, Selwyn – Suez 1956 (London : Jonathan Cape, 1978), pp. 195–196.

(١٨) المصدر السابق : يوميات معركة سيناء ، ص ١١٧ - ١١٨ .

(١٩) المصدر نفسه : ص ٨٨ .

(٢٠) المصدر السابق : مذكرات آرييل شارون ، ص ١٨٨ - ١٩٦ .

(٢١) دار المحفوظات المركزية العسكرية : القاهرة الملف رقم ٢٤/٥ ، مسلسل ١١١ ، كود ٣٧ ، مذكرة عن معركة أم قطف .

(٢٢) المصدر نفسه : الملف رقم ٣٣٦/٦ ، مسلسل ١١٣ ، كود ٣٧ .

(٢٣) المصدر نفسه : اشارة رقم ٣٨ عمليات .

(٢٤) هيكل ، محمد حسنين : ملفات السويس (القاهرة : مركز الأهرام للترجمة والنشر ، ١٩٨٦) ، ص ٥٣٣ - ٥٣٥ .

(٢٥) Beaufre, Andre : The Suez Expedition 1956 (New York : Fredrick A. Praeger 1969), p. 51.

(٢٦) المصدر السابق : يوميات معركة سيناء ، ص ١٣٥ - ١٣٧ .

(٢٧) دار المحفوظات المركزية العسكرية : القاهرة ، مسلسل رقم ٢٨٣ ، يومية حرب ، إدارة عمليات وخطط الجيش الساعة ١٢١٠ يوم ١ نوفمبر ١٩٥٦ ، أمر إلى قائد منطقة شرم الشيخ بالانسحاب إلى غرب قناة السويس .

(٢٨) المصدر نفسه : مسلسل ٢٩٩ ، الساعة ٢١٠٠ يوم ١ نوفمبر ١٩٥٦ ، التصديق على اقتراح قائد منطقة شرم الشيخ بالبقاء فى مواقعه .

(٢٩) Dupuy, Trevor N.: Elusive Victory (New York : Harper & Row, 1978), p. 211.

(٣٠) Op.Cit.: The Twice Fought War, p. 590–591.

(٣١) Ibid, p. 617–618.

(٣٢) المصدر السابق ، يوميات معركة سيناء ، ص ١٨٢ .

(٣٣) Op.Cit.: The Twice Fought War, p. 545.

(٣٤) المصدر السابق : يوميات معركة سيناء ، ص ١٦٣ - ١٦٧ .

(٣٥) جريدة الأهرام : القاهرية ، عدد السبت ٣ نوفمبر ١٩٥٦ .

(٣٦) البغدادى ، عبد اللطيف : مذكرات البغدادى (القاهرة) ، المكتب المصرى الحديث (الجزء الثالث) ١٩٧٧ ، ص٣٤٦ .

(٣٧) المصدر السابق : ملفات السويس ، ص ٥٣٤ .

(٣٨) المصدر نفسه : ص ٥٣٥ - ٥٣٦ .

(٣٩) المصدر السابق : مذكرات البغدادى ، ص ٣٤٥ .

(٤٠) المصدر السابق : يوميات معركة سيناء ، ص ١٨٣ .

(٤١) المصدر نفسه : ص ١٨٤ .

(٤٢) المصدر نفسه : ص ١٧٥ - ١٧٧ .

(٤٣) المصدر نفسه : ١٧٩ - ١٨٠ .
والمصدر السابق Op.Cit. : The Suez Expedition, p. 97.

(٤٤) Ibid : p. 92.

(٤٥) المصدر السابق : يوميات معركة سيناء ، ص ١٩٨ - ٢٠٠ .

(٤٦) دار المحفوظات المركزية العسكرية : القاهرة ، الملف رقم ٢٤/ ٥ ، مسلسل ١١١ ، كود ٣٧ .

(٤٧) Op.Cit. : The Suez Expedition, p. 83–87.

(٤٨) المصدر السابق : دار المحفوظات المركزية : القاهرة ، الملف رقم ٢٤/ ٥ ، مسلسل ١١١ ، كود ٣٧ .

obeikandl.com

(٤٩) المصدر نفسه .

(٥٠) المصدر السابق : يوميات معركة سيناء ، ص ٢٠٣ - ٢٠٦ .

(٥١) Op.Cit. : The Suez Expedition, p. 103–104.

(٥٢) المصدر السابق : دار المحفوظات المركزية : القاهرة ، الملف رقم ٦/٢٦٤ ، مسلسل ١٢٢ ، كود ٣٧ .

(٥٣) المصدر السابق : ملفات السويس ، ص ٥٥٤ - ٥٥٥ .

(٥٤) Op.Cit.: The Twice Fought War, pp. 610–611.

(٥٥) Eden, Anthony : Full Circle (London : Cassell and Company, 1960), p. 554.

(٥٦) المصدر السابق : دار المحفوظات المركزية : القاهرة ، الملف رقم ٦/٤٦٤ ، مسلسل ١٢٢ ، كود ٣٧ .

(٥٧) Op.Cit.: The Suez Expedition, p. 102–104.

(٥٨) Op.Cit.: Full Circle, p. 557.

(٥٩) Sunday Times : Weekly Review (The Suez Report, September 4 1966).

(٦٠) Op.Cit.: The Suez Expedition, pp. 115–121.

(٦١) Op.Cit.: The Twice Fought War, p. 626.